روايات عبير الجديدة

ليزا مونتاغ

جنون السّير ايثار آرد

WWW.REWITY.COM
مـــرمـــوريـــة

روايات عبير الجديدة

جنون السير ايڤارارد

ليزا مونتاغ

لن تنسى تامسن ابداً قبلات الرجل المجهول الذي ضمها بين ذراعيه. في حفلة افتتاح المعرض العالمي لعام ١٨٥١.

وبسبب بند في وصية والدها، يجب ان تتزوج السير ايڤارارد والا ستحرم نفسها من ثروة كبيرة. وعندما وضعها القدر وجهاً لوجه امام الرجل الذي لا يفارق احلامها، كانت دهشتها كبيرة عندما اكتشفت ان دايفيد سانت جون ليس سوى قريب فقير لخطيبها.

فهل ستتخلى تامسن عن كل شيء من اجل حبها للرجل الفاتن دايفيد؟.

الفصل الاول

انه مكان مثالي لتدخين سيجار فاخر بهدوء، قال الرجل النبيل الانيق لنفسه وهو يخلع قفازاته البيضاء ويتنهد بعمق. لماذا اضطر للمجيء ولاضاعة وقته في هذه القاعة؟ لقد تجول في كل الصالة لكنه لم يجد اية آنسة تستحق اكثر من مجرد نظرة عابرة.

ونظر مرة ثانية حوله، وفجأة لمعت عيونه ونسي رغبته في التدخين، هنا فتاة انيقة جداً تظهر في الظلام وكانت الفتاة تنظر حولها بحزن وتستمع الى صوت المطر المتساقط على السقف الزجاجي.

نيسان آه ولم يعد لدي امل في هذه الحياة، كانت تحدث نفسها وهي تتأمل الظلام والمطر.

ظل الرجل يتأملها ويحدق بعنقها وبكتفيها الناعمين، ثم

ارتسمت ابتسامة على شفتيه، وقال لنفسه، انه لا شيء اجمل من ملاحظة جمال مثل هذا على مهل. ونسيان المبادىء اللياقة التي يجب ان تحترمها كل فتاة عندما تكون امام رجل نبيل.

ولكن ماذا تفعل هذه الحورية وحدها هنا؟ خاصة وانها من المؤكد لن تجد صعوبة في ايجاد شبان يرقصون معها... لو رأيتها في الداخل في صالة الرقص، لكنت اول من حجز كل الرقصات معها لكل الحفلات التي تنظمها الوالدة...

وكانت تامسن الفتاة التي يتأملها الرجل النبيل، تفكر وتقول لنفسها، انها تحب الرقص كثيراً، لكنها ترفض بسبب عقلية العمة سكوت القاسية.

وهي لم تسمح لها ابداً بالاشتراك في الرقصة المربعة التي يقوم بها اربعة ازواج من الراقصين، ولن تسمح لها باي رقصة ثلاثية ايضاً قبل عودة السير. ايثارارد فورتين من انكلترا لطلب يد ابنة اخيها الأنسة توماسينا كات لوكاس. وكانت تفضل ان تناديها تامسن الم تعدها ابنة اخيها؟ ولكن هذا ليس عدلاً، وكانت السيدة سكوت تقول لها دائماً، انه لا يجب على الفتاة ان ترقص الا مع زوج المستقبل او مع قريب للعائلة، واعتقاداً بهذه القاعدة كانت تتجنب المخاطرة باي ثمن، لأن الفتاة سمعتها ملونة تفقد كل آمل في ايجاد زوج مناسب، خاصة اذا كان ذلك يهدد حصولها على ميراثها.

وبما ان تامسن ليس لديها مال ولا اقارب وبما ان السير

ايثارارد ليس موجوداً، لن يسمح لها ابداً بالمشاركة في هذا الاحتفال لافتتاح العرض العالمي الا اذا وعدت بان ترفض كل عروض الرقص التي تعرض عليها. وهكذا تبقى حزينة في هذه الزاوية بينما كل الفتيات ترقص وتلهو بمرح امام نظرات السيدات المسنات من الطبقة الرفيعة المستوى واقل ابتسامة منها تعني فضيحة متوقعة. ولم تكن اية فتاة في ذلك العهد تستطيع ان تقبل دعوتين للرقص مع رجل نبيل اذا لم يكن خطيبها او زوجها!.

وهكذا كان يجب عليها ان تبق جالسة ومنخفضة عيونها وهي تفكر بانها لن تستطيع التعرف على مشاعر الحب. حتى انها لا تستطيع ان تحلم بشيء من هذا النوع. اعاد الرجل المجهول سيجاره الى علبته الذهبية ووضعها في جيبه وهو لا يزال يتأمل تامسن، وكأنه يحاول ان يتذكر شيئاً ما. وفجأة لمعت عيونه وكأن ذاكرته عادت اليه بطرفة عين.

يا لها من صدفة! نعم انها هي! كيف يمكنه ان ينسى هذه الاناقة الفاتنة، واسرع نحوها، وقبل ان تنتبه امسكها وجعلها تلتفت نحوه وضمها اليه بشوق! ثم اطبق شفتيه بعنف وحرارة لدرجة انها لم يكن باستطاعتها ان تصرخ، واستجاب فمها وكل جسدها بدون اي شرط، وبلحظات قليلة اجتاحها خوف كبير.

انها ستنهار فوضعت يديها على كتفي الرجل الذي هاجمها ووقعت من يديها باقة الكاميليا، ومحفظة يدها التي كانت من قبل لوالدتها.

واخذ الرجل يداعب بيديه كتفيها وذراعيها العاريين،

وهو يضمها الى صدره بعنف، حيث انها لم تعد قادرة على التنفس. اذا صرخت، سيأتي بالتأكيد احد لنجدتي... ولكن ستحصل فضيحة! ولن يصدقها احد ولا حتى السيدة سكوت ولا السيد ايفارارد بانها بريئة. لانه لا يجب على فتاة واذا قالت بانها بقيت وحيدة بسبب غلطة ليوني، فلن يكون هذا عذراً مقبولاً.

واخيراً تخلصت من عناقه، وكان المجهول لا يزال يلهث فتأمل وجهها قليلاً، فحلت ابتسامة خفيفة على وجهها مكان الدهشة واحمر وجهها. فضحك الرجل ونظر مباشرة في عيونها.

«لقد تملكني الشيطان! اعتقد انني اخطأت بينك وبين فتاة اخرى! على كل حال.. اقسم بان هذا الثوب الذي ترتدينه...».

فاخفضت تامسن نظرها، ولاول مرة اقتنعت بنصيحة عمتها التي قالت لها بان الثوب الابيض يناسب مثل هذه المناسبة فقط لو انها لم تقتنع بكلام ليوني، ولقد اصرت صديقتها ان ترتديه ولن يعلم احد بان هذا ثوبها هي، لأنها لم تلبسه الا مرة واحدة في بادن بادن، ومن الصعب ان تلتقي باحد في هذه الحفلة كانت قد التقته هناك.

انها مرة ثانية غلطة ليوني. ثم خطرت ببالها فكرة جعلتها تحمر مرة ثانية. هذا الرجل قد اخطأ بينها وبين ليوني، من المؤكد انهما التقيا في بادن بادن وتعددت علاقتهما الحديث العادي.

احست تامسن بالذهول لدرجة الصدمة. وكانت ليوني

قد تركت لندن محطمة القلب واقسمت بانها لن تحب انسان آخر غير السيد اليوت جايمس، وها هي قد تركت هذا الرجل المجهول يقبلها. وهكذا تخاطر بسمعتها وبحب السيد جايمس!.

«اعتقد انه يجب علي ان اطلب معذرتك، ولكنني لست نادماً على هذا التصرف الذي جعلني اشعر بلذة كبيرة، وبانني سأبدأ من جديد بكل سرور اذا...» أضاف الرجل الذي لم يبدو عليه الحرج.

فنظرت اليه تامسن بخوف. ان قوة اشبه بالتنويم المغناطيسي تشع في عيونه وتجعلها مشلولة تماماً.

«يا صغيرتي العزيزة، لا تنظري الي بمثل هذه النظرات، فانا لست ابليساً، ومن المؤكد انهم علموك انه ليس من المناسب النظر كثيراً الى وجه رجل مجهول، حاولي ترتيب ثوبك وشعرك، لأنني لا اريد ان ارافقك الى اصدقائك واهلك بهذه الحالة».

ثم انحنى وتناول باقة الزهر وحقيبة يدها، وتأملها وهي ترتب ثوبها، وتعيد بعض الدبابيس الى شعرها.

والتقت يداهما، وكأن الفتاة قد سلبت ارادتها. هذا اللقاء الغير متوقع غير بطرفة عين نظرتها الى العالم المتمدن، وليست تعاليم السيدة سكوت هي التي تنجدها في مثل هذه المغامرة، وادآب التصرف التي تتمسك بها السيدة سكوت لا تتوقع مثل هذا التصرف.

«لا ارغب في مرافقتك الى اي مكان آخر» قالت له بجفاف محاولة ان تقلد الدوقة الرفيعة المستوى، لكنها لم

تنجح.

فابتسم الرجل ابتسامة عريضة.

«ماذا؟ اهذا يعني انك تفضلين البقاء معي هنا؟ هذا التصرف سيكون طائشاً جداً».

ثم اعطاها باقة الزهر وحقيبة يدها، وسألها بمكر.

«بالمناسبة، هل استطيع ان اسألك عن صاحبة الشرف التي امامي؟...».

«بالتأكيد لا!» اجابته بألم وندم.

وهكذا لن يعرف هوية الفتاة التي قبلها، وبالتالي لن يتفاخر بذلك.

«انا لا ارغب بالبقاء هنا معك، ولا ان اذهب معك الى اي مكان آخر، تصبح على خير سيد!».

انحنى الرجل قليلاً، وابتسم.

«كما تشائين، ايتها الفاتنة الرشيقة، واتمنى ان نلتق مجدداً كي نوطد صداقتنا التي بدأت بشكل رائع. هيا آنسة لا تنظري الي بخوف، الم يقل احد من قبل بأنك خلقت للحب فقط؟».

كانت تامسن مرتبكة جداً، ولم تدري اذا كان يمزح ام يتكلم بجد.

ورغماً عنه ارتدى قفازاته البيضاء واتجه نحو صالة الرقص وترك تامسن وحدها ترتجف وكأنها مصابة بالحمى. واخذت تصلي لربها كي لا يعرف حقيقة هويتها! واذا حاول احد ان يستغل هذا الحادث، فهي ستعيش مذلولة الى الابد. وبامكان ايثارارد ان يضحك ايضاً، لأنه سيكون

حراً في اي ارتباط. ان وصية والدها تصبح باطلة، ولن يعود بحاجة للتخلي عن ميراثه برفضه الزواج.

وازداد حزنها عندما ادركت بعد هذه التجربة القصيرة بان قبلات هذا الرجل المجهول لها طعم لذيذ جداً. لقد ايقظت قبلاته وكلماته في كيانها مشاعراً كانت تعتقد انها غير موجودة الى في قصائد الشعر والقصص الفرنسية. ودون ارادة منها، اخذت تفكر بـ ايثارارد فروتين. هناك امل قليل في ان تكون لمسات زوج المستقبل لها نفس القدرة على اثارة احاسيسها بهذا الشكل، وهي لا تستطيع ان تتخيل بسهولة انه سيقول لها بانها خلقت من اجل الحب!.

لقد تصرف وكأنه قرصان، ولكن هكذا اشخاص لا يعبرون عن حقيقتهم ببساطة. وقلما يدعون الى مثل هذه الحفلة الراقصة التي تقيمها جلالة الملكة بنفسها. ليوني بالتأكيد قد يمكنها ان تسأله عن حقيقته، اما تامسن فهي لا تجرؤ ابداً على مثل هذا السؤال رغم فضولها الشديد.

وبرغم صداقتها مع الآنسة ليوني ادغكومب، الا ان ليوني لم تخبرها عن اية مغامرة عاطفية في بادن بادن، وهي بالتالي لا تثق بليوني كثيراً كي تعهد اليها بهذا السر. فقط لو انها لم تأتي الى هذه الحفلة! وكانت عمتها قد عارضت في البداية، لكنها استسلمت اخيراً امام الحاح مضيفتهما، السيدة ادغكومب التي قالت بان ابنة اخيها لها تأثير كبير على ابنتها... وبما انهما قبلتا ضيافة السيدة ادغكومب طيلة مدة العرض، فانه سيكون من الصعب رفض مثل هذا

الطلب.

وكانتا تسكنان عادة في سيساك وبما ان السيدة سكوت لم تكن تملك الوسائل، قبلت مرغمة ان ترتدي ابنة اخيها ثوب الآنسة ادغكومب. وكانت ليوني وتامسن بنفس المقاس تقريباً، وكانت فساتينها وقبعاتها تناسب مقاس تامسن. ولم تخفي السيدة سكوت عن ابنة اخيها بانها ليست مغشوشة بتظاهر السيدة ادغكومب بانها محبة للغير كثيراً.

«وهي بدون شك سعيدة لأن صديقة ابنتها في مؤسسة الآنسة دروي في تامبردج ويلز، ستصبح اللايدي فورتين، ان زواجك يمكنه ان يفتح لابنتها آفاقاً اجتماعية جديدة ومميزة».

الفصل الثاني

كانت تامسن متفقة مع عمتها بشأن السيدة ادغكومب ولكنها كانت تخالفها بالنسبة لليوني، فهي لا تفكر بتأمين مستقبلها الاجتماعي بهذه الطريقة.

وبسبب ليوني تعرضت سمعة تامسن للخطر، لأنها هي التي نصحتها بالذهاب الى تلك السقيفة كي تريح اعصابها من ضجيج الحفلة. ولاحظت تامسن ان نوايا ليوني كانت مختلفة عما قالت لأمها، انها تريد تنشق الهواء النقي، وكانت بالتأكيد على موعد على الشرفة مع السيد جايمس، وهما لم يلتقيا منذ مدة طويلة. وبسبب السيد جايمس ارسلت ليوني الى اقاربها في بادن بادن وكانت والدتها متأكدة من ان ابنتها ستتمكن هناك من نسيان ميلها الطائش لمدرس الرسم الصغير الذي لا ذنب له الا انه لا يملك

www.rewity.com مرموزية

ثروة كبيرة.

وظلت تامسن تنتظر ليوني، وبدت لها الدقائق طويلة جداً، ولكنها لا تستطيع العودة الى عمتها والى السيدة ادغكومب وحدها بدون ليوني، لأن ليوني لن تسامحها ابداً.

وفي نفس الوقت كانت تخاف ان يعود ذلك الرجل النبيل ويحاول التعرف على اسمها.

اوه لماذا تتصرف ليوني دائماً بدون تفكير، اتحاول ان تجر نفسها وصديقتها الى فضيحة كبيرة؟ ماذا يجب ان تفعل الآن؟.

وفجأة دخلت عليها السيدة ادغكومب وعمتها فارتبكت تامسن ولم تدري ماذا ستقول لهما عن سبب وجودها وحدها.

وفوراً تلقت والدة ليوني ملاحظة من ابنتها تشرح لها فيها انها تعبت فجأة وعادت بالعربة وحدها كي لا تفسد سهرة تامسن.

«اوه، يا للعار، عادت وحدها بالعربة!» قالت والدتها غاضبة.

«العار الاكبر اذا كان برفقتها احد» اجابتها السيدة سكوت.

وكانت تامسن متأكدة ان ليوني لم تعد وحدها وتصرف ليوني هذا يزيد من تحفظ السيدة سكوت على علاقة ابنة اخيها مع صديقتها المفضلة.

استيقظت تامسن في اليوم التالي مع الفجر، وكانت

اجراس لندن تدق بفرح، انه يوم الخميس الاول من ايار، حيث ستقوم الملكة فيكتوريا نفسها برئاسة الافتتاح الاول المعرض العالمي.

نهضت تامسن بسرعة ووقفت امام النافذة، وكان المطر يتساقط قليلاً.

وقبل ايام قليلة رقصت ليوني وتامسن من الفرح لأنهما علمتا بان بامكانهما حضور الحفلة التي ترأسها الملكة.

في البداية، لم يكن الشعب مدعواً، ولكن التايمز هذا المقياس الجوي كان يبدو غير وقوراً لأن الملكة فيكتوريا ليست اللايدي كوديفا، ومن غير العادل ان الخمسة وعشرين الف مشاهد الذين دفعوا ثمن تذاكر اشتراكهم ثلاثة جنيهات للرجال وجنيهين للامرأة يرفضون الحضور الى هذه المظاهرة الاستثنائية.

واستهجنت السيدة سكوت كون الملكة تقارن باللايدي كوديفا، وتساءلت اذا كان مناسباً حضور هذا الاحتفال، ونجحت السيدة ادغكومب باقناعها، منذ وصولهما، كانت تامسن وعمتها ترافقان يومياً آل ادغكومب لمتابعة برنامج البناء الزجاجي الخاص بالسيد باكستون، وحيث سينتهي بناءه بمدة ٢٢ اسبوعاً.

وبانتظار ان ينتهي بناء هذا القصر الكريستال، كانت تامسن تتشوق لزيارة احدى هذه العجائب السبعة في العصر الحديث، وكادت تقريباً ان تنسى قرب موعد لقائها مع زوج المستقبل. وكانت نظرات الرجل المجهول الذي التقت به في تلك السهرة لا تفارق احلامها. وظلت قبلاته

ولمساته تلاحقها، ولكن هذه الاحلام لم تكن تزعجها كما تزعجها الاحلام التي تراودها عن السير ايقارارد.

وفجأة سمعت دقات خفيفة على باب غرفتها، ودخلت ليوني وهي لا تزال ترتدي قميص نومها.

«ارجو ان لا اكون ازعجتك، ولكني لم استطع النوم، لقد لقنتني والدتي درساً قاسياً في الاخلاق مساء امس، ولا يزال رأسي يؤلمني!».

ولم تكن تامسن سمعت اعذار ليوني امام والدتها، لكن السيدة سكوت حذرت تامسن من خطر التصرف مثل صديقتها، لأن السير ايقارارد لن يكون راضياً وسيعتبرها مذنبة.

«لم يكن يجب عليك ان تتركيني بهذه الطريقة. لقد كانت والدتك قلقة جداً».

«تلك الحفلة كانت مملة كثيراً» اجابتها ليوني بانزعاج.

«على كل حال، لم يكن من الصعب عليك ان تتقبلي دعوة...».

«اوه، ان الفرسان كانوا كلهم مملين! وانت لم تخسري شيئاً لأنك لا يسمح لك بالرقص، انا متأكدة ان السير ايقارارد سيكون مسلياً اكثر من كل الذين قابلناهم امس».

فضلت تامسن الا تتكلم عن ايقارارد لأنها تعلم بان ليوني تعتبره شخصاً فاتناً ولا يمكنها ان تفهم رأيها المناقض عنه.

ان ميله للعب ولمرافقة الفنانات الممثلات معروف وتدور حوله عدة شائعات في المدينة. ومن الصعب معرفة

الحقيقة بالتحديد، كما وان اختياره العيش في الخارج دليل كاف على اخلاقه المنحرفة، وعلى عدم قدرته على رفع رأسه عالياً في مجتمع لندن الذي ينتمي اليه، وهذا ما يثير أسف اللورد بايرون.

«هل عدت وحدك؟».

«ليس تماماً، ولكن لا تقولي لاحد ارجوك» اجابتها ليوني وعيونها تلمع بمكر.

«ان والدتك تريد مصلحتك».

«وانا لا ارغب الا بمصلحتي ايضاً، لكننا ليس لدينا نفس وجهات النظر».

«هل رافقك السيد جايمس؟».

«بالتأكيد».

«كانت والدتك بالتأكيد تشك بذلك، ولقد كانت منعتك رؤيته مجدداً».

«سأتزوج منه، شاءت ام ابت ولو بالقوة».

«ولكن الفضيحة...» سألتها تامسن بدهشة.

«لا تهم، وبعد زواجنا لن يفكر بنا احد. آه تامسن، انك تذكرينني بعمتك وبافكارها الكئيبة، ولن يتأخر السير ايقارارد من الملل برفقتك!».

«اذا لم اتصرف هكذا» اجابتها تامسن بحزن ثم اضافت.

«سيستغل ايقارارد اية حجة ليرفض زواجنا، وهو ينتظر اية غلطة من جهتي كي يقنع كاتب العدل الموكل بتنفيذ وصية والده باستحالة هذا الزواج، ولهذا السبب تتشدد

عمتي في مراقبة تصرفاتي» ثم ضحكت بمرارة واضافت.

«اتعلمين بأن كل وجودي رهن لمشيئته على امل ان اعجبه؟ انا لا يمكنني ان افعل شيئاً، خوفاً من ان يعلم خطيبي الذي يتجول في اوروبا، اطمئنك ليوني، انه حقاً من الصعب ان تحاولي كسب اعجاب احد لا تملكين عنه سوى ذكريات سيئة».

لم تدري ليوني كيف تواسي صديقتها.

«الا تعتقدي انه من الرومنطيقية ان اهرب معه في ليلة بدون قمر، ونتزوج في الخارج؟ اتساءل اي ثوب سأرتدي لهذه المناسبة؟».

«هل يتصور السيد جايمس ذلك؟».

«لا، انه لا يزال حذراً. ويقول باننا سنعيش فقراء اذا تزوجني واراد ان ينتظر الى ان تتوسع سمعته كفنان بارع، وهو يفضل موافقة والدتي ولقد اجبته بانني لا اهتم للمال».

وكانت تامسن متأكدة من ان صديقتها لن تقبل العيش طويلاً على الحب والماء المنعش فقط. لأنها تعرف حبها للملابس الفاخرة ولأقتناء اجمل الاشياء.

«والمال الذي تركه لك والدك؟». سألتها تامسن وهي تفكر، لو ان والدها فكر بتأمين مستقبلها! على الاقل لما كانت اهتمت للزواج من السير ايقارارد، بالتأكيد كان يسعى لأن تحظى ابنته بالغنى والشهرة، وبما ان السيد اوليفر كان صديقه، فقد قررا معاً ان يتزوج ولداهما من بعض. وكذلك كانت زوجتاهما المسكينتان متحمستين ايضاً لهذا المشروع.

عندئذ كان ايقارارد عمره فقط اربعة عشرة عاماً وتامسن كان عمرها اربعة سنوات فقط. وقرر الوالدان ان لا تلتقي تامسن بايقارارد الا في عيدها الثامن عشر. ولكن هذا المخطط الذكي لم ينجح حتى الآن. ولم يكن ايقارارد متسعجلا على رؤيتها، ولقد مرت ستة اشهر على عيدها الثامن عشر، واعلمها كاتب العدل بان السير ايقارارد سيعود قريباً الى انكلترا، من المحتمل انه بدأ يعاني من مشاكل مادية.

«لقد اكدت لي والدتي بانني لن احصل على قرش واحد من ميراثي اذا لم توافق هي على زواجي، وهي تعتقد ا ن اليوت جايمس يسعى للحصول على اموالي. وبانه استغل مهنته كمدرس للرسم كي يدخل الى منزل العائلة ويفتن الفتاة الصغيرة، ولكن انت تعلمين بانه لا يسعى الى ثروتي، اليس كذلك؟».

«ولكن، اتعتقدين بأن اليوت رجل شريف، بامكانك ان تثقي به؟».

ولم تكن تامسن قد التقت بالسيد جايمس سوى مرتين، عندما زارت آل ادغكومب، قبل ان تبدأ والدة ليوني تشك بتحمس ابنتها لدورس الرسم. وتامسن لاحظت انه شاب خجول ومحترم على عكس صديقتها.

وعندما روت ليوني للسيد جايمس قصة تامسن، تردد قليلاً واجابها.

«لقد تعرفت على السيد ايقارارد فورتين في باريس، في رسم احد اصدقائي، وكان لطيفاً واعجب ببعض لوحاتي،

وهو يهتم كثيراً بالفن الحديث و. . .».

«بالمودلات ايضاً» قاطعته ليوني بابتسامة ماكرة.

«على الاقل اذا كان نصف ما يقال عنه صحيحاً».

«لا اعرف عنه اكثر من ذلك» اجاب جايمس بانزعاج.

«كنت اتمنى ان تخبرنا اكثر عنه» اجابته ليوني بخيبة ثم اضافت.

الفصل الثالث

«وانا متأكدة ان كل الرجال متحفظون امام فضول النساء، كما وانني متأكدة من ان السير ايڤارارد سيصفك بانك متحفظ ولو كان يعلم ببعض عيوبك».

ولم تكن تامسن تتألم لأن صديقتها كانت تفضل ان تكون سمعته افضل من ذلك.

«يبدو لي ان له طبيعة مستقيمة» اجابت تامسن بهدوء ثم اضافت.

«ولكن هل لدينا خبرة كافية كي نحكم على ما نراه بانه حقيقة ام لا».

دخلت الخادمة ميني تحمل وعاء الماء الساخن، فغسلت تامسن وجهها.

«يجب ان نبدأ بالتحضير اذا اردنا الوصول بالوقت

www.rewity.com
مـــروريـــة

المناسب الى العرض» قالت تامسن وهي تنشف وجهها.

«لقد منعتني والدتي من الذهاب قصاصاً لي على تصرفي مساء امس. وقررت ان لا تذهب هي ايضاً».

«اوه، ، انا آسفة» فهزت ليوني كتفيها.

«لدي بطاقة اشتراك، والعرض مستمر حتى نهاية تشرين الثاني. وسيكون بامكاني ان احضره مرة اخرى. ولكني مضطرة للذهاب غداً الى مقاطعة كلوسيستر، عند خالي سبتيميس، وهو رجل رجعي، وسيسمعني كل يوم نصائحه الطويلة عن ضرورة فضيلة الطاعة وجنون الغرور. . . ولو لم يكن متزوجاً من صوفورينا التي تشبه، والدتي ان خالي سيكون قادر على جعلي انسى اليوت ولكنها واهمة».

«ولكن لا يجب ان تخالفي ارادة امك وخالك».

«بلى، سأكتب رسالة كي يلحقني».

«مثل ما فعلت مساء امس؟ ولكن من ينقل رسائلك اليه؟».

«الخادمة ميني، وانا اعلم بأن لديها عشيق. واذا عرفت والدتي ستطردها حتماً، ولهذا السبب تؤدي لي هذه الخدمات».

«ولكن هذا ليس لطيفاً منك انك تعرضيها لفقدان عملها بسببك».

«اوه، تامسن انه من السهل التمسك بفضائل الاخلاق بالنسبة لمن لم يجرب الحب. وعندما ستقعين بالحب، اريد ان اعرف كيف ستتصرفين» فاحمر وجه ليوني من الخجل.

«انا آسفة» قالت لها ليوني معتذرة ثم اضافت.

«انا متأكدة من انك ستكونين سعيدة مع السير ايڤارارد، وستقعين بحبه من اول مرة سترينه فيها».

واضافت بعد صمت قصير.

«اذا اردت بامكانك ان تضعي القبعة التي اشتريتها لهذه المناسبة. وخاصة ان كل المحلات ستكون مقفلة اليوم. وذات يوم عندما ستصبحين اللايدي فورتين، ستتذكرينني وستعيرين للسيدة جايمس الفقيرة، خاتمك الالماس، او عقدك الزمردى الذي سيهديك زوجك الكثير منها».

«لا اعتقد ذلك».

ولكن لديه مجوهرات عائلته. لقد كانت والدته غنية وكان والده يغمرها بالهدايا، وكل ذلك سيصبح لك انت بعد زواجك».

وكانت تامسن تندهش دائماً لأن ليوني تعرف اكثر منها بكثير ما كان يملكه آل فورتين، وذلك لأن احدى ممتلكاتهم تقع على بعد عدة كيلو مترات من منزل خال ليوني. وفي كل مرة تزور خالها تعود ومعها معلومات اضافية، وكانت ليوني تعتبر ان قصة تامسن رومنطيقية اكثر من كل القصص الفرنسية التي تقرأها بالسر عن امها. وكانت تعتقد ان تامسن المسكينة تتأمل الكثير من السير ايڤارارد . الذي اختارته الصدفة فقط ليكون زوجها. ولكنه بالتأكيد لم تعترف لصديقتها بفكرتها هذه. وقالت ليوني لها عدة مرات بانها ندمت لأنها غادرت بادن بادن قبل ايام قليلة على وصول السير ايڤارارد.

«الكل يتكلم عن مغامراته العاطفية! يقال بانه شيطان. . . هذا رائع! ان صداقتنا تفيدني بالتعرف عليه، وكذلك خالي هو جاره على كل حال. . . وكل مرة اتمنى ان التقي به في ستيل واتر، وعندئذ سأعود واصفه لك».

«اذاً حكمنا عليه من خلال الاشاعات، لن يعود من فائدة لرأيك به».

«ممكن، ولكن على كل حال، بعد ان تعرفت على اليوت، لم يعد يعجبني اي رجل نبيل آخر».

لم تشأ تامسن ان تقول لها بانها فقدت جزءاً من ذاكرتها ونسيت ذلك الرجل الذي تعرفت عليه في بادن بادن. . .

اثناء تناول الفطور، كانت السيدة ادغكومب لا تزال متأثرة بتصرف ابنتها، وكانت السيدة سكوت هي الوحيدة التي تأكل بشهية.

«حاولي ان تأكلي جيداً تامسن» قالت لها السيدة ادغكومب بلطف ثم اضافت.

«انك تبدين شاحبة وكأنك لم تنامي هذه الليلة».

«عندما ستصبحين اللايدي فورتين» قالت لها ليوني ثم اضافت.

«سيكون بامكانك ان تبقي في سريرك قدر ما ترغبين، بينما يحضر لك الخدم الكثيرون الشوكولا الساخن، والكاتو، وانت لا تزالين في سريرك، ولن تضطري للنهوض قبل الساعة الحادية عشرة و. . .».

«آنسة ادغكومب، انا لا يضايقني ان تعيش ابنة اخي مثل هذه الحياة انا اطلب منها دائماً. ان تستيقظ بعد

ساعتين فقط من استيقاظ الخدم، كي تتأكد من ان كل شيء مرتب ونظيف قبل موعد الغداء. لأن اكثر الخدم هم كسالى».

«انا لا ادري ما هي فائدتهم» اجابت ليوني.

«هيا يا عزيزتي، اعتقد انه يجب عليك تهتمي بالمنزل قليلاً، لقد تركت لك حرية كبيرة حتى الآن، ويجب ان تساعديني في التحقق من نظافة الغسيل والفضيات، و في اعداد المربيات من اجل موسم الشتاء القادم» قالت لها امها غاضبة.

بعد قليل اقتربت منهم الخادمة ميني وهي تحمل رسالة على طبق من الفضة.

«اعذريني سيدتي، ولكن وصل البريد، ولا يوجد سوى رسالة واحدة للسيدة سكوت».

امسكت السيدة سكوت الرسالة، وفتحتها وعندما قرأتها عقدت حاجبيها.

«ارجو ان لا تكون هناك اخبار سيئة» سألتها السيدة ادغكومب عندما لاحظت تعابير وجهها.

«هذا الرجل! لا سبيل لفعل اي شيء آخر!».

«اتقصدين السيد ايشارارد ؟» سألتها ليوني بدهشة ثم اضافت.

«متى سيعود؟ ارجوك، قولي لنا ماذا كتب لك».

«لا، آنسة!» اجابتها السيدة سكوت بجفاف. ثم التفتت نحو السيدة ادغكومب.

«السيد غرافاني والسيد هامبدن، المسؤولان عن ارث

فورتين كتبا لي بان السير ايڤارارد قد سافر الى فرنسا لأجل العمل. وسيرسل لي رجلاً اسمه دايفيد سانت جون، احد اقاربه لجهة امه. ولكني لم اسمع من قبل بهذا القريب، وسيحمل لنا رسالة لزوجة المستقبل. وسيصل غداً، ولم يسبق لي ان سمعت مثل هذا التصرف! ان يرسل رجلاً مجهولاً مكانه. . . ! هذا حقاً شيء لا يحتمل!».

«ان هذه طريقة غريبة حقاً، يبدو انه ليس مستعجلاً لرؤيتك يا عزيزتي تامسن!» قالت ليوني.

«لا بد ان لديه اسباب قوية للسفر» اجابت والدة ليوني وهي تنظر اليها بلوم ثم اضافت.

«وارساله السيد جون يعني بانه لا يريد ان يؤخر خطوبته اكثر».

«اوه، سيأتي السيد جون في نفس اليوم الذي سنذهب فيه. كنت اتمنى ان ارى خاتم تامسن» اضافت ليوني.

«ليوني! كفى انا سعيدة لأنه سيأتي ولن يجدك هنا، والا فانه سيخبر السير ايڤارارد بان صديقة زوجته فتاة غير مهذبة» اجابتها والدتها فانهمرت دموع ليوني من شدة غضبها.

«لا تحزني ليوني، ستكون هناك مناسبات اخرى للتعرف عليه» اجابتها تامسن بهدوء برغم المها الشديد.

لم يسبق لتامسن ان رأت مثل هذا الازدحام في شوارع لندن، وكانت عمتها في سيارة آل ادغكومب.

الفصل الرابع

ابتسمت السيدة سكوت عندما رأت تامسن تبتسم. انها فتاة متعقلة وجميلة وهي تشبه والدتها بهذه الصفات ولا تشبه والدها روجر الذي كان صعب المراس، على كل حال تامسن لم تسبب لعمتها اية متاعب. والشيء الوحيد الذي يقلق السيدة سكوت. هو ان ابنة اخيها ستضطر للزواج من السير فورتين الذي لا يكن لها اية عاطفة. وكل هذا بسبب والدها روجر، لو انه لم يبدد ثروته وثروة زوجته بطيشه لما اضطر للاستسلام لمشيئة السير اوليفر والد ايڤارارد».

«احب ان اركب يوماً في العربة العامة، لقد اخبرتني ليوني بانه. . .».

«لا يدهشني شيء بهذه الآنسة. ان ركوب العربة العامة

www.rewity.com مرصورية

ليس مناسباً للتنزه في المدينة».

رأت تامسن مجموعة من الفتيات والشبان يضحكون ويمرحون، فاحست بانقباض في قلبها واخذت تفكر بالحرية التي يتمتعون بها بينما هي لم تعرف طعم الحرية ابداً. عندما وصلتا الى ميدان هادي تفاجأت تامسن بهذا الحشد الكبير.

«لم يسبق لي ان رأيت مثل هذه الحشود! كم يبلغ عددهم يا ترى؟».

ولم تعلما عدد المحتشدين سوى في اليوم التالي عندما كتبت الصحف ان عددهم يقرب من نصف المليون! وكانت الامكنة مليئة بالناس الذين من المؤكد قضوا الليل هنا لكي يتمكنوا من حجز اماكنهم. وكان الكثيرون يرقصون ويغنون الاغاني الشعبية، وكانت رجال الشرطة موزعة في كل الاماكن.

وتحت اشعة الشمس ونقط المطر، كان القصر الزجاج يبد وكأنه من قصص الجنيات القديمة. كانت السيدة سكوت تتأمل القصر بقلق.

«ارجو ان لا يكون السيد باكستون مجنوناً لأنه شيد هذا البناء بهذه الطريقة، على كل حال انه ليس سوى بستاني شعبي!».

«اوه، يا عمتي ان الدوق ديفونشار والدوق دي ويلنغتون بنفسه ايضاً معجب بفن السيد باكستون» اجابتها تامسن ضاحكة.

«معك حق، طالما ان الدوق بنفسه يثق به...» وعندما

دخلتا الى الميدان المسقوف دهشتا بهذا المنظر الغريب الرائع.

وكانت الزهور مزورعة على الجانبين وفي الوسط سجادة حمراء، وصفوف من الكراسي المعدة للمشاهدين ونافورة ماء مصنوعة من الرخام والزجاج.

وكان النبلاء يرتدون بدلات والسيدات ترتدين اثواباً مختلفة الالوان وكأنها زهور ربيعية. وجدت السيدة سكوت وتامسن بصعوبة اماكنهما، واخذتا تنظران بدهشة الى رجل صيني تنسدل على ظهره ضفيرة شعر طويله، لم يسبق لهما ان رأيا مثلها سوى في الكتب المصورة التي تحكي عن بلاد بعيدة في آسيا.

وبدأ المطر يتساقط على السقف الزجاجي بنفس الوقت الذي علا فيه التصفيق عند وصول الدوق ويلنغتون. وتحمست السيدة سكوت مع الجماهير لرؤية هذا الدوق الذي يبلغ اليوم التسعين من عمره.

وقبل الظهر بقليل، اعلن قدوم الملكة التي دخلت باجلال من الباب الشمالي، انها المرة الاولى التي ترى فيها تامسن الملكة شخصياً. وكانت ترتدي ثوباً من الحرير الزهري، ومجوهرات من الالماس تلمع على صدرها، لا بد انها سعيدة بهذا الاستقبال الذي يشارك زوجها بتنظيمه، فتأملت تامسن الامراء الصغار الجميلين. وخاصة الامير غالز ببذلته التقليدية الرسمية. وعندما خاطب الامير والملكة الجماهير تفاجأت تامسن وعمتها بصوت الملكة العذب، وبلهجة الامير التي تميل الى لهجة امه الالمانية.

وبعد قليل اخذت تامسن تنقل نظرها بين المشاهدين. وفجأة رأت رجلاً يضع على عينيه منظاراً وينظر باتجاهها. وعندما لاحظ انها شاهدته انزل المنظار عن عينيه وابتسم لها، وبرغم المسافة التي تبعده عنها، الا انها عرفت ذلك الرجل المجهول الذي التقت به في تلك الحفلة فاحمر وجهها، فابتسم الرجل عندما لاحظ انها عرفته. وشعرت تامسن بانه ايقظ كل الاحاسيس التي كانت تعتقد انها نسيتها، وتذكرت قبلاته ولمساته الحارة... فادارت رأسها ببطء كي لا تنتبه عمتها لارتباكها.

«اتعرفين ذلك الرجل؟».

«لا، لا بد انه يعتقدني فتاة اخرى من معارفه».

«ارجوك تامسن، تجنبي النظر اليه، والا سيعتقد انك تشجعينه، لا يجب ان تنسي السير ايڤارارد...».

حاولت تامسن ان تتبع نصائح عمتها، لكنها من وقت لأخر كانت تنظر بطرف عينها نحوه وهي تخاف ان يتجرأ ويقترب منها ويحاول معرفة هويتها. ولحسن الحظ قررت عمتها العودة الى المنزل بسبب الم ساقيها.

«سنعود في يوم آخر، فنحن لن نستطيع ان نرى شيئاً بسبب هذا الازدحام، فانا اشعر بتعب كبير، وعندما سنعود في مرة اخرى سيكون بوطي الجديد قد اصبح جاهزاً».

لم تحاول تامسن ان تقنع عمتها بالبقاء اكثر، وتبعتها برغم رغبتها في التعرف على صاحب فكرة هذا البناء العجيب.

وعندما اتجهت الى سيارة آل ادغكومب، اعتقدت

تامسن انها رأته يشق طريقه بين الحشود. ولكنها ليست متأكدة انه هو نفسه، فعاد اليها القلق من جديد، وكانت طوال الطريق تنظر الى الخلف ولم تفهم السيدة سكوت سبب توتر ابنة اخيها.

بعد سفر ليوني ووالدتها، بدا المنزل الكبير فارغاً، وكانت والدة ليوني قد اصرت على مرافقتها كي تتأكد من انها لن تقوم باي تصرف مشين. وعندما ستتأكد من انها اخيها سبتيميس سيحافظ جيداً على ابنتها، ستعود الى لندن، وكانت تامسن حزينة لأجل صديقتها، كما وانها غير متحمسة لقضاء كل الوقت مع عمتها. وكانت متأكدة بان السير ايڤارارد ارسل قريبه السيد جون لينقل له بعض الملاحظات عن زوجة المستقبل، ويجب ان تحاول جهدها كي لا يأخذ عنها اي انطباع سيء.

وتساءلت امام مرآتها كيف يجب ان تتصرف؟ فاذا اتبعت نصائح عمتها سيجدها بدون شك فتاة كئيبة بدون روح. واذا حاولت التشبه بليوني، سيعتقد انها فتاة طائشة. ومن المؤكد ان السير ايڤارارد يذكر الفتاة الصغيرة... ومن المحتمل انه حذر قريبه من انه سيلتقي بفتاة سيئة الصفات.

عندما تذكرت تامسن آخر مرة رأته فيها لم تستطع ان تمنع نفسها من الابتسام، عندها كان في سن الرابعة عشر كان يتضايق من الفتاة الصغيرة التي تتبعه اينما ذهب. وعلى كل حال كان بامكانه ان يبتسم لها كي يكسب قلبها الى الابد.

وكان عنيفاً جداً مع تلك المربية، وطلب منها ان تبعد عنه واقسم بانه يفضل ان يتزوج من متوحشة على القبول باعطاء اسمه لهذه الطفلة الجنية، وهذه الملاحظة آلمت تامسن كثيراً، وظلت تردد في قلبها انها تكره ايثارارد فورتين.

اذن الافضل لها ان تكون طبيعية، لا بد ان السيد جون والسير ايثارارد متفقان معاً، ولو كانت هي شجاعة حقاً لكانت رفضت هذا الزواج، وهذا سيكون درساً له! لأنه بالتالي سيحرم من ميراث والده، وحسب الشائعات، لقد انفق ايثارارد كل ميراث والدته، وسيكون فسخ الوصة مشكلة كبيرة بالنسبة له، ولكن ماذا ستستفيد هي من هذا العصيان؟ ستضطر للبقاء مع عمتها والاستماع الى شكواها واتهامها لها بانها لم تنفذ آخر امنية لأبيها، وبانها ستخسر كل ممتلكات فورتين، فقط لأنها ستتزوج رجلاً لا تحبه. وكانت عمتها قد وضعتها امام الحقيقة.

«اذا لم يتزوجك، ستتأثر سمعتك بسبب رفضه اذا كان هو من اعلن فسخ الخطوبة، ولن يقبل اي رجل نبيل الزواج من فتاة فقيرة. ولا تتصوري انه يمكنني ان اهبك مالاً وفيراً، لقد تحملت حتى الآن الكثير في سبيل تربيتك بالمال القليل الذي تركه لي زوجي و...».

لقد مضى زمن طويل على وفات السيد سكوت وتامسن لا تزال تذكر هذا الرجل الذي كان يعاملها احسن معاملة.

«ليس امامك عندئذ سوى ان تعملي كخادمة في بيوت الاغنياء، تذكري غباء والدك روجر، لقد قبلت تربيتك

لأجل والدتك فقط».

وكانت عمتها تحب ايزوبل والدة تامسن كثيراً. ولكن والد تامسن بالرغم من حبه الكبير لزوجته، الا انه كان هو سبب وفاتها اثر خطأ منه اثناء الصيد.

وكان والدها على علاقة جيدة مع السير اوليفر والد ايثارارد. ويقال انه كان موجوداً في غرفة نوم امرأة متزوجة عندما توفي، وترك ابنه يعيش حياته حراً يتبع نهج والده. وكانت تامسن لا تزال امام المرآة. وتمنت لو ان ليوني هنا لمساعدتها في اختيار ثوب ملائم لاستقبال السيد جون. وبعد تردد وبمساعدة الخادمة ميني ارتدتت فستاناً من الموسلين الابيض، وبمساعدة ميني اصبحت الآنسة توماسينا كات لوكاس تشبه السيدات الرفيعات المستوى اللواتي تعجبن النبلاء في ذلك العصر، حيث كانت صفة الانوثة والرقة مطمع كل الرجال.

عندما نزلت الى الصالون كانت عمتها تنتظرها بفارغ الصبر. وكانت تامسن فخورة بجمالها وبشعرها.

«حسناً، اعتقد انك رائعة، واتمنى ان لا يتأخر السيد جون كثيراً».

ومن الواضح ان رأي العمة بالسيد جون هو نفس رأيها بقريبه ايثارارد.

«الا تفكرين بعمل شيء ريثما يصل السيد جون؟».

وكانت تامسن تعلم بانه يجب ان تشغل نفسها وان لا تبق بدون اي عمل. وكانت دائماً تنظر الى يديها وتحاول حمايتهما من اية خدوش.

«افكر في ان ارسم لوحة مائية واقدمها لليوني عند عودتها».

«يبدو ان دروس السيد جايمس قد اعطت بعض النتائج» اجابتها عمتها بسخرية. وكانت تعتبر الرسم المائي تسلية مناسبة لفتاة مربية بطريقة رفيعة.

الفصل الخامس

جلست تامسن امام طاولة قرب النافذة واخذت ترسم بالرصاص باقة زهور متنوعة. ولم يكن بامكانها ان تركز كثيراً على الرسم لأن كل تفكيرها كان منصباً على زيارة السيد جون المنتظره. وبعد قليل دخلت ميني وقالت بكل تهذيب.

«هناك رجل على الباب اسمه السيد جون يرغب في مقابلتك، سيدتي».

فنظرت السيدة سكوت الى البطاقة التي تحملها ميني على صحن فضي.

«دعيه يدخل ميني، واحضري لنا البورتو وبعض البسكويت».

اعادت تامسن اقلامها الى العلبة، وقلبها يدق بسرعة،

www.rewity.com مرموزية

فعادت ميني واعلنت.

«السيد دايفيد سانت حون».

وبقوة غريبة حاولت تامسن ان تخفي دهشتها وتمنع نفسها من الصراخ. ولحسن الحظ لم تلاحظ عمتها شدة ارتباكها.

وبعد ان تأملت عمتها السيد جون وهو يرتدي بدلة انيقة، مدت له يدها. انحنى السيد جون بكل تهذيب.

«اقدم لك ابنة اخي، الآنسة توماسينا كات لوكاس...».

فانحنى الرجل مرة ثانية وابتسم، وكأنها في حلم، سمعته يقول بهمس.

«صباح الخير» ولمعت عيونه وتظاهر بانه لا يعرفها.

لا، هذا مستحيل! انه كابوس! لا يمكن ان يكون السيد جون قريب ايڤارارد هو نفسه ذلك الرجل المجهول.

«انا خادمك، آنسة لوكاس» قال لها بابتسامة لطيفة عندما لاحظ ارتباكها.

نعم، انه نفس صوت ذلك الرجل الساخر، حتى في الاحلام لم تكن تتوقع مثل هذا الاحتمال.

«تفضل بالجلوس، سيد جون» وكان صوت العمة الهادىء دليلاً على انها لم تلاحظ الجو المكهرب.

ومن المؤكد انها تعتبر شحوب وجه تامسن نتيجة لتوترها فقط ثم دخلت ميني تحمل صينية الشراب.

«اذا كنت ترغب سيد جون. ستسكب لك ابنة اخي كأس بورتو».

«بكل سرور، مدام» فتحت تامسن الزجاجة، دون ان تجرؤ وترفع نظرها نحوه.

«اسكبي كأساً لك ايضاً، تامسن انك شاحبة قليلاً وهذا الشراب سيفيدك» قالت لها عمتها. فنظر اليها جون بمكر وقال.

«اتمنى ان لا تكوني مريضة آنسة لوكاس؟».

«بالتأكيد لا! ولكن عندما تزور الفتيات لندن بتحمس لرؤية كل ما هو جميل فيها، وهذا ما يتعبهن» اجابت عمتها.

فقرب جون الكأس من شفتيه ولم يلاحظ احد غير تامسن ابتسامته الساخرة. انه يعرف تماماً سبب شحوب وجهها.

«كيف حال قريبك السير ايڤارارد» سألته السيدة سكوت.

ولاحظت تامسن انه يفكر بجواب مناسب، وكأنه لم يكن ينتظر مثل هذا السؤال، وشعرت تامسن باليأس، فالآن وقد عرف هويتها، لن يتأخر في اعلام السير ايڤارارد بما حصل بينهما في تلك الحفلة. وقد يكون السير ايڤارارد نفسه هو الذي دبر ذلك الموقف، كي يتخذه سلاحاً لرفض الزواج منها، كونها فتاة منحرفة سمحت لرجل مجهول بتقبيلها.

«انه بخير، مدام وهو يرج ان تقبلي انت والآنسة لوكاس عذره لأنه لم يستطع الحضور شخصياً. لكن عملاً مهماً اضطره للسفر في اللحظة الاخيرة».

وبما ان السيد جون لا يعرف طبيعة السيدة سكوت،

فهو بالتأكيد لا يتوقع مدى استيائها، لكن تامسن كانت معجبة بمظهر عمتها الهادىء.

«وهل تسكن انت في انكلترا؟» سألته العمة بفضول.

«لا، مدام لقد مضت عدة سنوات منذ رحيلنا معاً عن اوكسفورد، وانا افيده في ادارة شؤونه العامة، وانا مدين له بالكثير لأنه شجعني على متابعة دروسي العلمية».

وتذكرت تامسن فجأة ان ليوني المحت الى اقامتها في بادن بادن. واذا كان ايڤارارد قد انتظر رحيل صديقتها كي يرسل السيد جون؟ من المؤكد انه لم يحدث ليوني عن صلة القرابة مع ايڤارارد. لا بد ان هناك مؤامرة بينه وبين ايڤارارد، على كل حال لن يستطيع مقابلة ليوني لأن امها تراقبها جيداً، ولاول مرة خلال هذا اليوم ارتاحت تامسن لغياب صديقتها. ولكن من المؤكد انها ستلتقي بالسيد جون يوماً ما. وهي ليست مستعجلة لحل الالتباس الذي وقع بسبب ثوبها. وقد تكون صديقتها لا ترغب في ان يعلم احد بتلك العلاقة مع جون في بادن بادن.

ونظرت تامسن الى الجدران وسرت لأنه لايوجد اي رسم لصديقتها، ولكن يجب ان يكون السيد جون يعلم في منزل من هو موجود الآن، الا اذا كان قد نسي تماماً اسم ليوني...

«الدروس العلمية؟» سألته العمة بدهشة.

«نعم، مدام فانا اهتم كثيراً بالتصوير، واكرس الآن كل جهودي لصنع آلة تصوير خاصة».

ولم تكن السيدة سكوت تحب هذا الفن. ولكنها عندما

علمت ان جلالة الملكة والامير البرت يشجعان هذا الفن، تغيرت نظرتها للتصوير.

«واعتقد ان الآنسة لوكاس تنتظر بشوق عودة السير ايڤارارد» قال وهو يلتفت بابتسامة نحو تامسن.

هل يسخر منه؟ واحست بان خديها يشتعلان، ولحسن الحظ اجابت عمتها عنها.

«قد تكون تجهل، يا سيد جون، بان توماسينا وايڤارارد لم يريا بعض منذ طفولتهما، وسيكون من العجب ان تعبر فتاة عن اية مشاعر تجاه رجل، وهي تقوم بواجبها كما تعلمت تماماً».

فنظر الى تامسن وكأنه يحاول ان يقرأ افكارها، فزاد في احمرار وجهها.

«اذا كان بامكاني ابدي رأيي، فانا متأكد ان السير ايڤارارد سيقف مذهولاً عندما سيرى الآنسة لوكاس....».

«هذا ممكن، ولكننا سمعنا انه ردد خلال رحلاته اكثر من مرة انه لا يرغب بالزواج من ابنة اخي، ولكن مضطر لذلك للحصول على ميراثه...».

فبدا الانزعاج على وجه السيد جون، وقال بهدوء.

«اعترف بانه قال لي ذلك ايضاً، لكن الآنسة لوكاس لا يجب ان تقلق، ان قريبي مندفع احياناً بسبب حريته. وهو كان يعتبر ان هذا الزواج يعيق حريته. ولكني منذ هذه اللحظة اصبحت متأكداً انه عندما سيرى رقة الآنسة لوكاس سيغير رأيه فوراً».

«انك تتكلم بثقة كبيرة، سيد جون لا بد ان قريبك اوكل

اليك هذه المهمة لأنه يعرف كم انت دبلوماسي» اجابته العمة مبتسمة.

«اعدك يا سيدتي، بان السير ايفارارد سيقول نفس الشيء في اليوم الذي سيلتقي به بالآنسة لوكاس».

اوه، لا يجب ان ابق صامتة، حدثت تامسن نفسها، ولكنها تخشى ان تلاحظ عمتها انفعالها. وقد حاولت عمتها ان تشجعها على المشاركة بالحديث، لكنها لم تنجح.

«هل تنوي الآنسة لوكاس ان تحضر الاستعراض؟ لقد ذهبت انا امس وحضرت الافتتاح، وقد تأثرت كثيراً، لقد كانت جلالة...».

«لقد تأثرنا نحن ايضاً، اليس كذلك تامسن؟» قاطعته العمة وهي تلتفت نحو تامسن.

«اوه، لم اكن اعلم! ولكنني سعيداً جداً لو استطعت مرافقتكما...».

ثم التفت نحو الفتاة، وكأنه لم يمضي طيلة الوقت اثناء الاستعراض وهو يراقبها بمنظاره!.

وتمنت تامسن لو انها تستطيع ان تمسك ربطة عنقه، وتهزه بعنف لكي يتوقف عن هذه التمثيلية الفظيعة. ولم تنتبه السيدة سكوت للكلام الذي تتبادله نظرات تامسن والسيد جون، وسألته فجأة.

«اشرح لنا اذن مدى قرابتك بالسيد ايفارارد».

«للحقيقة نحن اقارب لجهة والدته. ولكننا فقراء نوع ما» اجاب بمرارة.

ولكن هذا الفقر لا يبدو واضحاً، فان ملابسه بالتأكيد من

صنع افضل الخياطين، ولكن قد يكون يرتدي ملابس ايفارارد المستعملة، كما تفعل هي بملابس ليوني...

«هل عشت مدة طويلة مع السير ايفارارد؟» سألته تامسن باهتمام.

فسرت عمتها لهذا السؤال، قد تجرأت ابنة اخيها على الدخول في الحديث.

«نعم، فنحن بنفس العمر، آنسة ولقد تلقينا العلوم معاً في المدرسة وفي الجامعة، ولولاه لما استطعت السفر. فانا ممتن له لأنه كان يصطحبني معه الى كل المدن الاوروبية، فكوني فقيراً لم اكن لأستطيع التصرف كما يحلو لي».

تساءلت تامسن هل سترى السيدة ادغكومب وابنتها هذا الرجل فاتناً عندما تعلمان بانه لا يملك اية ثروة، ثم ابتسمت لهذه الفكرة.

«اوه، كدت انسى سبب زيارتي الرئيسي! لقد ارسلني السير ايفارارد كي انقل رسالة منه للآنسة لوكاس» ثم اخرج من جيبه رسالة وعلبة. فابتسمت العمة وكانت تعرف ماذا تحتوي هذه العلبة، ففتحتها تامسن وقلبها يدق بسرعة. واصيبت بالذهول عندما رأت قلبين من الزمرد والالماس يزينان خاتماً رائعاً.

«اوه، انه رائع!» قالت بدهشة.

«انه سيكون سعيداً لأن الخاتم اعجبك، واعتقد انه كان لوالدته التي تلقت هذه الهدية يوم خطوبتها على السير اوليفر، الا تريدين ان تضعيه باصبعك، آنسة لوكاس؟».

وكانت تامسن تدير الخاتم بيدها وتتأمله وكانت معجبة

به كثيراً، لكنها هزت رأسها واعادت الخاتم الى العلبة.

«لا، سيد جون لقد شرفني قريبك، بارسال هذا الخاتم الرائع، ولكني افضل الانتظار لحين عودته، كي يضع بنفسه الخاتم باصبعي».

الفصل السادس

عضت السيدة سكوت على شفتها لكنها لم تقل اية كلمة وكانت تعرف ان ابنة اخيها اخذت قراراً متعقلاً. فخاتم الخطوبة يجب ان يقدمه الخطيب بنفسه الى خطيبته. وشعرت تامسن بان السيد جون انزعج قليلاً.

«افتحي الرسالة توماسينا واخبريني ماذا كتب لك» طلبت منها عمتها بلطف.

فابتسمت تامسن بسخرية، وتأملت الرسالة، كان خط ايثارارد جميلاً ومستقيماً، يبدو انه معتاد على اصدار الاوامر.

«عزيزتي الأنسة لوكاس» بدأت تامسن القراءة بصوت هادىء ثم اضافت.

«انا آسف جداً لأنني لست موجوداً بقربك في هذه

www.rewity.com مروية

اللحظات، لقد سمحت لنفسي بارسال قريبي السيد دايفيد سانت جون اليك، واطلب منك ان تعامليه كصديق وكأخ لك. لقد اخبرني محامي بانك تقيمين حالياً مع السيدة سكوت عند اصدقاء لندنين كي تحضري الاستعراض العالمي بانتظار عودتي.

ومن الافضل لك ولعمتك ان تقيما في منزلي الذي في فندق فورتين، ميدان هادي، فليس من الضروري ان تبقيا في ضيافة اصدقائكما بينما البيت الذي سيكون بيتك ليس فيه احد. ولقد اصدرت التعليمات لكبير الخدم لكي يقوم بالترتيبات الضرورية قبل وصولكما، واتمنى ان تعجبكما الاقامة هناك. واذا احتجت لاي شيء، لا تترددي في طلبه من السيد جون، فانا له مطلق السلطة الضرورية لكي يتصرف باسمي.

خادمك المطيع ايثارارد فورتين.

ملاحظة اتمنى ان يكون الخاتم اعجبك».

تأملت السيدة وجه تامسن، وتمنت لو ان السير ايثارارد كتب على الاقل جملة عاطفية تظهر شوقه لرؤية الفتاة التي ستكون زوجته.

«لن نستطيع مغادرة هذا المنزل قبل عودة السيدة ادغكومب» قالت تامسن بصوت منخفض.

«اتساءل اذا كان من المناسب السكن في منزل رجل عازب، خاصة اثناء غيابه» قالت العمة بتردد.

«انا متأكد من ان قريبي سيكون سعيداً اذا استقبلتما اصدقائكما في منزله، آنسة لوكاس خاصة عندما يعلم كما

كانوا لطفاء معكم، ويتمنى ان تعتبري نفسك في منزلك» ثم التفت الى السيدة سكوت واضاف.

«انه منزل جميل جداً، مدام وهو جاهز لاستقبالكما وسأذهب اليه اليوم كي اتأكد من ذلك. انه من المناسب ان تقيم ابنة اخيك في الفندق الخاص بزوجها اثناء غيابه».

ان هذه الفكرة اعجبت السيدة سكوت، وبذلك يمكنها ان ترد الجميل للسيدة ادغكومب بمنحها شرف الجلوس في صالون اكثر فخامة من هذا.

«هل يمكنكما ان تكونا جاهزتين غداً؟» سأل السيد جون عندما لاحظ ابتسامة العمة.

«ستعود السيدة ادغكومب غداً».

«اذن سأجد عذراً قوياً واقدمه لها لأنني سأسلبها ضيوفها الاعزاء. وسأرافقكما الى الفندق بعد ذلك».

واعجبت السيدة سكوت باهتمام السيد جون بهما. لا بد ان قريبه مقتنع جداً باسلوبه الرائع. في هذا الوقت دخلت ميني واخبرت السيدة سكوت بان رجلاً يسأل عنها بخصوص البوط الذي يصنعه لها.

«اعذرني، سيد جون! لن اتأخر عليكما» ولاحظت ان ابنة اخيها شحب لونها لأنها ستتركها وحدها معه، فالتفتت نحوها وقالت لها.

«تامسن، قدمي للسيد جون كأساً آخر من البورتو، واريه ايضاً الرسوم المائية التي بدأت برسمها للآنسة ادغكومب...».

نهض الرجل بكل تهذيب وفتح باب الصالون للعمة،

وعاد وتناول الكأس من تامسن مبتسماً.

«لا بد انه السكاف، انه يصنع لعمتي حذاءً خاصاً لالم قدميها».

فضحك السيد جون، وسألته تامسن عن سبب ضحكه.

«كيف يمكن لحذاء شعبي ان يتناسب مع قدمي عمتك؟».

فابتسمت تامسن رغماً عنها.

«اوه، اخيراً، ابتسمت كنت قد بدأت اتساءل اذا كان قريبي سيتزوج من دمية من البورسلان، جميلة جداً».

«كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام، وانت لا تعرفني جيداً؟».

«هذا صحيح، ولكني اتمنى ان اعرفك اكثر» فابتسم بمكر واضاف.

«اعترف لك بانني دهشت عندما اكتشفت ان تلك الجميلة المجهولة التي التقيت بها تحت السقيفة في تلك الحفلة هي نفسها الآنسة توماسينا كات لوكاس، خطيبة قريبي ايڤارارد...».

«ارجوك، سيد جون لا تعيد امامي هذه الذكرى وتصرفك معي» قاطعته بغضب.

«ولماذا؟ اليست ذكرى لطيفة؟...».

«انا لا اريد ان افكر بها مرة ثانية!».

«الم تعجبك ابداً؟».

فترددت تامسن وتذكرت المشاعر التي احستها في ذلك المساء بين ذراعيه.

«سيكون السير ايڤارارد غاضباً جداً اذا علم...».

«انك لست مضطرة لاخباره، وانا ايضاً لن اخبره».

«اتقسم لي بذلك؟».

«بالتأكيد!».

واحست تامسن بالصدمة لأنه يعتبر ان هذا الحدث شيء غير مهم، بينما تعتبره هي شيئاً مهماً جداً. ولكن اذا كان متفقاً مع ايڤارارد على هذه المؤامرة، فقبلة من هذا النوع لن تؤثر فيه.

«انا اعلم بأن قريبك يبحث عن طريقة ليتجنب الزواج منك، الا تعتقد ان هذا التصرف سيكون عذراً مناسباً له؟».

«كل شيء رهن باهمية تعلقه بسمعتك، يبدو انك منزعجة من فكرة ان ايڤارارد قد يفسخ ارتباطكما».

لم ترغب تامسن بالبوح بمشاعرها امام السيد جون. لأنها لا تثق به حتى الآن.

«اعتقد ان اسم ايڤارارد فورتين وثروته التي سيحصل عليها يوم زواجكما له تأثير كبير على فتاة صغيرة لا تهتم للمشاعر الحقيقية تجاه الرجل».

«لا، لا يحق لك! انت تظن انني مخلوقة دنيئة وخسيسة، بينما انا لا ارغب سوى بالقيام بواجبي الذي فرضه علي والدي وانا لا اهتم بالاسماء وبالاموال، ولكن عمتي تعتقد بانه اذا لم يزوجني ايڤارارد ستتلوث سمعتي، ولن يعد احد آخر يرغب بالزواج مني، وستتدمر حياتي بينما لا ازال في التاسعة عشرة من عمري».

«لن اسمح بذلك ابداً» قالَ لها جَون مبتسماً ثم اضاف.

واعـدك بـان لا تخـرج ايـة كلمـة من فمي تؤثـر على سمعتك» وامسك يدها يطمئنها.

فاحست بارتعاش وفجأة رفع يدها نحو شفتيه وقبلها، فسحبت يدها بسرعة، ونظرت اليه بخجل وخوف.

«الافضل ان اريك الرسم، والا ستسأل عمتي عما كنت اتحدث معك».

وعندما رأى الرسم اخذ يشير اليها عن الالوان المناسبة له وكانت تختلس النظر اليه وهو يكلمها، وعندما انحنى فوق الطاولة اعجبت بجسده الرياضي وشعرت بلذة عندما لامس ذرعه ذراعها.

«ان الآنسة ادغكومب ستكون سعيدة بهذه الرسمة» تساءلت تامسن اذا كان يجب ان تقول له بان الآنسة ادغكومب هي نفسها صاحبة ذلك الثوب الذي كانت ترتديه ذلك المساء.

«انك ترسمين بلاقلام، وانا اصور بآلة التصوير، هل تسمحين اي يوماً بأن اصورك بين الزهور؟».

«لا اعلم... انا... انا لا ارى لماذا انت...».

«كي ارسل صورتك للسير ايڤارارد. انه يتساءل كثيراً كيف اصبح شكلك...».

«ماذا ستقول له عن لقاءنا لهذا اليوم؟».

«اوه، سأقول له بان زوجته هي امرأة فاتنة...».

«اتعتقد انه سيكون بامكاني أن احب السير ايڤارارد؟».

«وكيف لي ان اعلم؟ ولكني متأكد من انه شاب لطيف

جداً، ولكن البعض يعتبرون تصرفاته غير تقليدية...»

تمنت تامسن ان يقول لها شيئاً غير ذلك.

«اتعتبرني الزوجة المثالية له؟» سألته بمكر.

«يلزمني بعض الوقت لكي احكم جيداً» ونظر اليها بدهشة وبسعادة.

«وللأسف انقطع حديثهما عن هذه الاجابة لأن السيدة سكوت دخلت وهي تبتسم. وبعد قليل استأذن السيد جون على امل مرافقتهما غداً بعد الظهر الى سكنهما الجديد.

مع ان السيدة سكوت لم تكن تسمح لنفسها كثيراً بالاستسلام للاحلام، الا انها تخيلت نفسها الملكة بذاتها لكثرة الاهتمام الذي احاطه بها خدام السيد ايڤارارد حتى تامسن نفسها اعجبت بحماس كبير، بهذا المنزل وباللوحات الرائعة التي تزين الجدران... ومع ذلك احست بانها سجينة في نجمة مذهبة حاكتها عنكبوت ماهرة. وعندما ستقع في فخ هذا الثراء هي ستصبح قادرة فيما بعد على التخلي عنه؟ من المؤكد ان الجميع سيعتبرني مجنونة اذا رفضت هذا القدر الذي رسمه لي والدي ووالد ايڤارارد. والله وحده يعلم مدى غضب ايڤارارد اذا فقد هذا المنزل وبقية الاملاك برفضه الزواج من توماسنيا كات لوكاس الغبية هذه.

وعندما دعت السيدة سكوت السيدة ادغكومب لزيارة منزل السير ايڤارارد، لاحظت مدى غيرتها.

«يا لحظك الرائع تامسن! آه، لو ان ليوني يمكنها ان تلفت انتباه رجل مثل ايڤارارد!».

ولم تكن السيدة ادغكومب تعرف كم تتمنى تامسن الهرب من هذا السجن الذهبي.

«ان غيابه يذكرني بقصة بيشي، اتذكرينها؟» نظرت تامسن الى عمتها. وكانت تعرف رأيها بمثل هذه القصص.

«الفتاة التي تزوجت كيبيدون كشرط ان لا تحاول رؤية زوجها، كان قد اصطحبها الى قصر رائع. ولم يكن يزورها الا في المساء. وكان يرحل قبل بزوغ الفجر. وعندما زارتها اخواتها اصبن بالغيرة، وقلن لهاا بان زوجها يريد ان يبقى خفياً بسبب تشوهه وبشاعته، وهكذا دفعها الفضول والخوف لاشعال النور ورؤيته وهو نائم. وكانت دهشتها كبيرة بجماله، فوقعت نقطة زيت من القنديل على زوجها فاستيقظ واكتشف عدم طاعتها له. فهرب بسرعة، واخذت تبحث عنه كالمجنونة لشدة حبها له، ولكنها اثارت غضب الكوكب فنيس، فمنع لقاءهما، وفي النهاية تغلب الحب ووجدت كيبيدون».

الفصل السابع

وجدت تامسن القصة مثيرة جداً. لكنها لم يكن اية رابط بينها وبين قصتها، فهي لا تتخيل انها ستفتن بايثارارد وبانها ستقضي الليالي بالبحث عنه!.

«انها مجرد قصة، وانا لا اسمح لأبنة اخي بقراءة مثل هذه القصص» قالت عمتها وهي تلمح الى انه لو لم تقرأ ليوني مثل هذه القصص لما ارسلت الى خالها.

كان السيد جون كل يوم يزور الأنسة تامسن وعمتها، كي يتأكد انهما ليست بحاجة لأي شيء. وكانت تامسن قد لاحظت اختلاف تعامله مع السيدة ادغكومب، بينما كان يتعامل بشكل رسمي مع عمتها، كان يعامل السيدة ادغكومب بانسجام اكبر وكثيراً ما كان يجعلها تبتسم وتضحك، انها سيدة لا تزال جميلة رغم السنين. ولاحظت

www.rewity.com مـروريـة

تامسن ان السيد جون يعرف النساء جيداً، ويعرف كيف يعامل كل واحدة كما يجب. وكانت تامسن تبتسم بسخرية وهي تراه يلاطف السيدة ادغكومب وهو لا يعلم بانها والدة تلك الفتاة التي تسلى معها في بادن بادن.

ومنذ لقائهما الاول، لم تسمح الظروف لأن تلتقي تامسن بالسيد جون وحدهما. وكانا يتصرفان بتهذيب خوفاً من السيدة سكوت، ولكن ماذا تأمل الآن وقد عرف هويتها؟.

وحسب ما قاله للسيدة سكوت، علمت تامسن انه على اتصال يومي مع السير ايڤارارد الذي يصر على تعليمات صارمة من اجل تأمين راحة ورغبات ضيوفه.

ومنذ اتصال السيد جون بهما. زاد اهتمام السير ايڤارارد بزوجة المستقبل، ولكن تامسن رغماً عنها كانت تفكر بجون اكثر ما تفكر بزوجها.

انه شعور جميل، ان تستفيد من كل المال الذي يقدمه لها فورتين، وبان يكون لها سيارة دائماً تحت تصرفها. وان يستجيب الخدم لها باقل اشارة من اصبعها.

وكان الطعام هنا الذ بكثير مما هو عند السيدة ادغكومب. وكانت السيدة سكوت معتادة على النوم بعد ظهر كل يوم. بينما كانت تامسن تشغل نفسها في التطريز، وقد اصبحت عودة السير ايڤارارد الى انكلترا قريبة جداً.

وبعد ان تعبت تامسن من التطريز، خرجت للقيام بنزهة خارج المنزل قبل ان تستيقظ عمتها، وفجأة لاحظت في الزاوية الشمالية للحديقة قامة رجل مألوف. لديها وما ان

رآها حتى اقترب منها بدون تردد.

«صباح الخير، آنسة لوكاس» قال لها السيد اليوت جايمس ووجه احمر من الارتباك.

«صباح الخير، سيد جايمس، الديك تلاميذ في هذه الناحية؟».

«لا لكني علمت انك انتقلت للعيش هنا...».

«انها ميني اذن؟» وابتسمت له واشفقت على حاله.

«اردت ان اراك وحدك، لأنني اعرف انك صديقة ليوني. اتعلمين اذا كانت ستعود قريباً، فانا لم استلم اية رسالة منها... وبدأت اتساءل اذا...».

«ان خالها يراقب تحركاتها عن قرب، ولا يمكنها ان تكتب الا لوالدته، واحياناً تكتب لي في طي رسالتها لوالدتها. انها بخير ولكنها تشعر هناك بالملل. وليس لدي اية فكرة عن موعد عودتها. وانا متأكدة ان ليوني متأسفة جداً لأنها ليست في لندن».

«اتعتقدين ذلك حقاً؟» سألها السيد جايمس وقد لمعت عيونه بالأمل.

«بالتأكيد، وكنت اعتقد بانكما ستهربان معاً...».

«لا يمكنني ذلك قبل ان يغادر تلاميذي المدينة. والا سأفقد المال الذي اعيش منه».

فتأكدت عندئذ تامسن من ان جايمس يحب ليوني بصدق.

«ان مشاعري تجاه ليوني شريفة وصادقة ولكن فناناً فقيراً لا يمكنه ان يكون الزوج المناسب في نظر والدتها. ولهذا

السبب نضطر لأن نتقابل في السّر. وقلما نلتقي معاً. انا متأكد انك تفهمين...».

وكانت تامسن متأكدة من انها لم تعش مثل هذه التجربة لتعرف حقيقة مشاعرهما، لكنها تمنت ان لا يعلم جايمس كيف استطاعت ليوني ان تنساه في بادن بادن.

على كل حال وجود خالها سبتيموس سيمنعها من الترفيه عن نفسها بغياب جايمس.

وفجأة لاحظت تامسن اقتراب رجل آخر، فعرفت من مشيته انه السيد جون، لأنها كانت دائماً تراقبه وهو يخرج من الحديقة من نافذة الصالون وكان عندما يلتفت خلفه تختبىء دائماً خلف الستائر المخملية، لأن عمتها كانت تحذرها من النظر الى الرجال.

ولم تكن قد فهمت حتى الآن لماذا تهتم بالسيد جون كثيراً. هل فقط بسبب قرابته من السير ايڤارارد؟ ام بسبب لقائها الاول معه والذي تركها...؟.

وبينما كان السيد جون مستعداً لدفع قبعته والقاء التحية عليها، لاحظ بانها ليست وحدها وبدا وكأنه غير رأيه فجأة، فتوقف واتجه بأتجاه آخر، واختفى بسرعة.

ماذا يعني هذا؟ تساءلت تامسن بحيرة، ولكن السيد جايمس لم ينتبه لشيء وعاد لحديثه.

«آنسة لوكاس، انا اعلم بانك صديقتها الحميمة، فهل بامكانك ان تسدي لي خدمة وتجدي وسيلة لأخبارها بالسبب الذي اضطرني للبقاء في لندن؟ رغم شوقي الكبير لرؤيتها...».

«سأحاول ذلك، مع انني لا استطيع ان اعدك بشيء» وكانت تعرف مدى حرص خال ليوني عليها. وتعلم بان السيدة ادغكومب ستستاء كثيراً اذا اكتشفت دورها في هذه المغامرة.

فامسك السيد جايمس يدها وقبلها.

«سأكون ممتناً لك تفهمك وضعي، آنسة لوكاس. وسأنتظرك هنا بعد ظهر كل يوم، في حال حصلت علي اية اخبار منها».

ثم ابتعد بسرعة. وظلت تامسن غارقة في افكارها، وتساءلت هل سيكتب السيد جون لقريبه انه فاجأ الآنسة لوكاس مع شاب بالقرب من بيته؟... ولكن لا، ان لقاءً في وضح النهار ليس معيباً، واخذت تفكر في عذر تقدمه للسيد جون. وفجأة سمعت حركة خلفها ورأت قريب ايڤارارد يقترب منها.

«لم ارد التدخل، وفضلت الابتعاد».

«هذا ليس مهماً، كنت اتمنى ان اعرفك بالسيد جايمس، انه لطيف وهو رسام موهوب» وشرحت له باختصار متاعبه.

«اعتقد انك فهمت، يجب علي ان اساعدهما، وان ارسل رسالة لليوني اشرح لها فيها وضع جايمس، وذلك دون ان يلاحظ خالها وامها شيئاً» ابتسم السيد جون واجابها.

«احياناً تكون دروب الحب وعرة، وهل الزواج من هذا الشاب غير مرغوب فيه؟».

«لأنه فقير. . .».

«وهل تعتبرين هذا كأنه عملية خطف غير اخلاقية؟».

«انا لا، ولكن والدتها، نعم. . . واكثر الناس وانت ايضاً تعتبره كذلك».

اذن، انا لن اتزوج ابداً. فانا ايضاً ليس لدي ثروة كبيرة كي اصبح زوجاً مرغوباً به» اجابها بمرارة.

«فأجابته تامسن دون ان تنظر اليه وهي تدير المظلة بين يديها.

«انا متأكدة انك ستجد الفتاة التي ستقبل الزواج منك كما انت. . .».

«اتعتقدين ذلك؟».

وسارا معاً بصمت، فسالته تامسن بعد قليل.

«هل سبق لك وزرت كثيراً الاستعراض؟».

«ليس كثيراً».

«وانا ايضاً، وعمتي تحتج دائماً بالازدحام ويألم قدميها، ولم تسمح لي برؤية الاستعراض كله».

«هل تسمحين لي بمرافقتك، آنسة لوكاس» فاشرقت عيونها بفرح، لكن حماسها انطفأ بسرعة.

«للأسف هذا مستحيل. . .».

«الا تعجبك رفقتي؟».

«لا، ليس هذا ما اعنيه، لكن عمتي لن تقبل بذلك».

«لا اعرف لماذا؟ ولكنني متأكد بان السير ايڤارارد لن يغضب اذا علم بان قريبه يحاول ان يكون فارس خطيبته اثناء غيابه، ولو سمحت بامكاني ان اكلم عمتك».

«حقاً؟ هل تجرؤ. . .؟».

فضحك السيد جون.

«ان عمتك ليست تنيناً، والحديث معها اقل خطراً من وضع رأسي في فم الاسد الجائع. . . وانا اعلم بانها لا تريد ان تعارض مشيئة السير ايڤارارد، ولذلك سأقول لها بانه هو صاحب هذه الفكرة».

«ولكن اذا اصرت على المجيء معنا؟».

فابتسم جون بمكر.

«اوه، اوه، اترغبين اذاً في ان تكوني وحدك معي؟ هذا شيء رائع حقاً. . .».

«انك تفهم كلامي بطريقة مختلفة وتحاول ان تسخر مني. ولكن اذا جاءت معنا فبأقل من عشرة دقائق ستطلب منا العودة بسبب الألم قدميها».

«لا تقلقي فانا سأحاول اقناعها».

«انا رهن ارادتك، آنسة لوكاس».

«ان عمتي لا تعرف بلقائي بالسيد جايمس، ولكني اخشى. . .».

«موافق، لن اقول لها شيئاً، وسأكون كالاخرس كما كنت بالنسبة لذلك الموقف الذي لا ترغبين بالحديث عنه» فاحمر وجهها، وابتسم جون واضاف.

«ايتها الآنسة لوكاس المسكينة، انا اشفق عليك، انه لا يسمح لك بشيء تقريباً. واتمنى عندما سيتزوجك قريبي ان يصبح بامكانك العيش بحرية اكبر».

«اوه، لا اعتقد ان السير ايڤارارد سيقبل ان يركب معي

في عربة العامة» اجابته ضاحكة.

«اترغبين بذلك حقاً؟ يا لك من فتاة عربية، آنسة لوكاس».

«اوه، انا آسفة...».

«تفضلي الآن بالعودة قبل ان تسأل عنك عمتك! وسأعود بعد ثلث ساعة وسأحاول اقناعها».

الفصل الثامن

اسرعت تامسن الى غرفتها وقلبها يدق بسرعة، ان هذا يحصل معها كلما كانت برفقة السيد جون. ان كلامه يثير مشاعرها ويجعلها تحس بان يحاول حمايتها...

«يبدو لي انك ساحر بارع، لم اكن اتصور ان عمتي ستوافق بهذه السهولة» قالت له وهما يسيران في القصر الزجاجي في اليوم التالي.

«كان يكفي ان اشرح لها بان السير ايڤارارد يرغب بان تشاهدي الاستعراض» اجابها مبتسماً، فابتسمت تامسن بسعادة.

«يجب ان ابدي اعجابي بجمالك وباناقتك، آنسة لوكاس، وكل الرجال ينظرون الي بحسد واعتقد بانني اسعد الرجال».

www.rewity.com مروريه

وكانت تامسن قد قضت ساعات طويلة في اختيار هذا الثوب في التحضير لمثل هذه المناسبة الاستثنائية، وسرت بإطراء السيد جون لكنها فضلت ان لا تشجعه على المزيد.

«انت لست هنا لكي تعجب بي، وكذلك بقية الرجال» وكانت ردة فعل السيد جون غير متوقعة، لأنه اخذ يضحك ثم عاد بجهد الى جديته.

«حسناً، فلنبدأ بمشاهدة هذا العرض» وامسك يدها وقادها بين الحشود.

خلال هذه الساعات تسلت تامسن كما لم يسبق لها من قبل. وتمتعت بمشاهدة العرض دون ان تستمع لشكاوي عمتها من الأم قدميها. كما وان السيد جون كان يحاول دائماً ان يكون لطيفاً معها.

«يعجبني كثيراً مرح هؤلاء الناس! انهم يمرحون بحرية».

«ان عمتي لا تقبل ابداً ان انخرط مع هؤلاء الناس وهي ترى انهم لصوص ومتسكعين، ولا يجب ان ينخرطوا مع من هم اعلى منهم مستوى لأن ذلك يجعلهم يرغبون بالثورة، انها متأثرة بالثورة الفرنسية وتخشى من تبدل النظام» اجابته تامسن مبتسمة.

«ولكن انت، اتعتقدين مثلي ان هذا يوسع آفاق الناس قليلاً، ويساعدهم على تحسين مستوى معيشتهم؟».

«نعم، ولكن من الصعب اقناع عمتي ومن هم من جيلها الذين يرغبون في ان الاشياء على حالها».

لم يسبق لها من قبل ان اشتركت في نقاش من هذا النوع الجدي. لكن مع السيد جون يبدو كل شيء طبيعي! وكانت تامسن تندهش من البساطة التي يستطيع بها ان يتفاهم معها، ويشاركها حماسها لكل تجديد في الحياة البشرية.

وتجولا بين المعروضات الاميركية وتعرفت تامسن على مادة جديدة عن صنع الكاوتشوك وهي تستعمل في مجالات عديدة.

وتأملت الملابس المعروضة امامها. ولكن السيد جون اصطحبها نحو المعروضات الفرنسية الرائعة. واعجبت كثيراً بالمطرازات وبقطع البورسلين الرائعة. ثم انتقلا الى بزار لبيع المنتوجات الفنية الاثرية، والسجاد الفاخر والفضيات والنحاسيات.

«انهم يبيعون هنا على راحتهم اكثر مما يرتاحون من اسواق تونس».

«هل زرت تونس مع قريبك؟».

فتأملها لحظات كالابله ثم وكأنه يستفيق من حلم هز رأسها بالايجاب.

«يبدو انك تشعرين بالتعب، هيا بنا لنشرب شيئاً منعشاً، ونتناول بعض الطعام. لن يمكننا ان نبق واقفين ساعات طويلة. واعتقد بانه لن يمكننا ان نشرب سوى الليموناضة».

ان تناول الطعام والشراب في مثل هذا المكان العام شيء لا يعجب السيدة سكوت ابداً. وهي تخشى ان تعتاد

تامسن على هذه التصرفات.

«انه جميل جداً، ان اكون برفقة فتاة لا تقرف ولا تتفزز من ما يقدم اليها» قال لها جون وهو ينظر اليها تأكل سندويشاً مع الشوكولا مع كوب من عصير البرتقال.

«هيا بنا الآن، اريد ان اريك شيئاً مثيراً جداً بالنسبة لي. وفي الطريق سنشاهد الآلة الغريبة التي تضع الغلافات بسرعة».

وبعد قليل وصلا الى القسم المفضل لدى السيد جون وكان يضم ساعات وادوات الجراحة والآت الارصاد الفلكية، والآت التصوير.

وبعد ان شرح لها عمل احد الآت التجسيم همس لها بصوت منخفض.

«انا احاول ابتكار آلة تصوير صغيرة يمكن وضعها في مكان صغير جداً».

«ولماذا؟».

«هكذا يكون بالامكان التقاط الصور لأناس بدون علمهم. وهذا سيكون مفيداً للتمرين ولم يبحثون عن معلومات خاصة».

وامام جديته لم تستطع تامسن ان تمنع نفسها من الضحك.

«ولكن ليس من المناسب تصوير الناس بدون علمهم».

«آه، ولكن بالمقابل هذا يمكن ان يكون مسلياً جداً...».

احمر وجهها وكانت تفكر بانه من الرائع حقاً مشاركة

الحياة مع رجل بمثل حماسه وبمثل روحه المرحة، وهذا شيء مختلف عن الحياة التي تنتظرها مع السير ايڤارارد الذي يبدو انه يحب التمتع بالحياة بالتسلية مع النساء...

وانتبهت تامسن الى اتجاه افكارها هذا، لا، لا يجب ان تقارن دائماً بين السيد جون والسير ايڤارارد. ان هذا يعني انها بدأت تعجب بهذا الرجل الذي يقف بقربها ويشرح لها عمل الغرفة السوداء في عملية التصوير.

على كل حال يجب عليه ايضاً ان لا يسمح لنفسه بابداء اية عواطف تجاه خطيبة قريبه، و اذا كان قد مل من حياة العزوبية، فليجد لنفسه زوجة اخرى غير تامسن الخجولة.

وفجأة لفت نظره مجموعة من النبلاء يتجهون نحوه، فتبدل مزاجه، وادار رأسها وامسك يدها وهمس باذنها.

«تعالي، آنسة لوكاس، لقد تأخرنا، يجب ان نعود» واقسمت تامسن انه من المؤكد انه يعرف هؤلاء ولا يريد ان يكلمهم، وجذبها بسرعة الى الباب الشمالي، ولم يسمح لها بالنظر الى البيانو المخصص لليخوت.

وكانت تامسن قد لاحظت حيرة اولئك الشبان النبلاء عندما لاحظوا هربهما.

«اتعرف هؤلاء الشبان؟» سألته بفضول.

«عن من تتكلمين؟».

ولم تلح تامسن، وادركت انه لا يرغب برؤيتهم لسبب ما، انها المرة الثانية التي يحاول فيها ان يتجنب رؤية بعض الناس، كما فعل عندما رآها مع السيد اليوت جايمس. لا بد ان للسيد جون اسرار خاصة لا يجب البوح بها. وقد

يكون خلال مرافقته للسير ايفارارد تعلم منه بعض اطباعه، اذا كانا يتصرفان مع النساء كما تشك انه يتصرف مع ليوني سيكون هناك بدون ادنى شك الكثير من الاباء والاخوة الغاضبين، او الازواج المخدوعين. والذين لا يطلبون منهما سوى الدفاع عن شرف عائلاتهم.

وبعد ان خرجا من المعرض، لم يعد السيد جون مستعجلاً، مما زاد شكوك تامسن. وسار بصمت وبعد قليل ابتسم لها جون وتوقف وكأنه لم يحصل شيء ابداً.

«والآن، آنسة لوكاس، اذا وعدتني ان لا تخبري عمتك سأكون سعيداً بتحقيق احدي امنياتك».

«ماذا تعني، سيد جون؟».

«لا شيء خطير، اطمئني ما رأيك لو نقوم بنزهة في عربة العامة في شارع اوكسفورد؟».

وفوراً نسيت تامسن شكوكها، وزال تعبها من الوقوف طويلاً في المعرض، وتحمست لهذه الفكرة التي تحلم بها منذ مدة طويلة. ولم تكن بحاجة للاجابة على سؤاله، واشرق وجهها بابتسامة عريضة. فعلم السيد جون جوابها. لم ينتظرا طويلاً، واقتربت منهما عربة يجرها حصانان ومد السيد جون يده وساعدها على الصعود ثم دفع للحوذي وتبعها وجلس بقربها على المقعد الضيق الخشبي.

وكان الهواء يطاير اشرطة قبعات الفتيات، واحياناً يرفع الهواء احد الفساتين، ويضحك الشبان وابتسامات رفيقاتهم وكان الجو مرحاً. مع ان اكثرهم لم يكونوا صغاراً، يبدو ان هذه العربات مفضلة لدى اكثر العشاق الذين يتهربون من

نظرات الفضوليين الذين يفضلون البقاء في الطابق السفلي من العربة. وكانت الفتيات قد سمحن لرفاقهم الشبان بوضع ايديهم خلف ظهورهن. فاحمر وجه تامسن لرؤية هذا المشهد.

لا بد ان عمتها ستغضب كثيراً اذا عرفت ان ابنة اخيها كانت مع مثل هذه المجموعة!.

وظلت تتأمل واجهات المحلات، والمارة الكثيرين في شارع اكسفورد المليء بالحركة. وكانت الارصفة تعج بالمارين، وكانت العربة تسير ببطء. ولم يكن الحوذي مضطراً لحث الحصانين على الاسراع الا اذا حاول تجنب الاصطدام بعربة اخرى تقطع الطريق بدون اي انذار.

وكان كل توقف مفاجيء يحدث صيحات من الفتيات، ويغتنم رفاقهن الفرصة كي يشدوا اكثر على ايديهن بسعادة ومرح.

واثر توقف مفاجيء وسريع مالت تامسن على دايفيد سانت جون، فوضع يده حول كتفيها كي يمنعها من السقوط، وبلحظة احست بحرارة جسده على جسدها وعادت اليها كل تلك الاحاسيس التي اربكتها في لقائها الاول معه وطوال الطريق لم يتبادلا الكلمات، وكانا يكتفيان بالابتسام بين الحين والآخر وكأنهما اصدقاء منذ مدة طويلة. وتفاجأت تامسن بانها تتمنى في قرارة نفسها ان تطول هذه الدقائق اللذيذة، وان لا تنتهي ابداً.

عندما وصلا الى نهاية شارع اكسفورد نزلا وركبا عربة ثانية بالاتجاه المعاكس، وكي لا تتعثر قدمها على درجة

العربة امسكها بذراعيها، وبرغم اعتراضاتها حملها ووضعها على الرصيف، من المؤكد ان السيد جنون لديه اسلوب خاص بالاقناع.

الفصل التاسع

وعندما اقتربا من طريق المنزل، التفتت تامسن نحوه وقالت له بخجل.

«كيف يمكنني ان اشكرك، على هذا اليوم الرائع، سيد جون؟ لن انسى ابداً لطفك معي...».

فانحنى قليلاً، ولكنه تغافل عن اليد التي مدتها نحوه، وعادت ابتسامته للتهذيب وفقدت عيونه كل تلك الحرارة، وشعرت تامسن فجأة انها حفرت حفرة بينهما.

«انه يسعدني كثيراً ان اجعل اقامة خطيبة السير ايثارارد في لندن شيقة».

فانقبض قلب تامسن، بدون شك هو على موعد الآن مع فتاة اخرى وانه امضى هذه الساعات معها فقط بانتظار ان يحين موعده مع الاخرى. وهي كانت تتخيل كالغبية ان

www.liilas.com
مـــرمـــوريـــة

دايفيد جون يجد متعة في التنزه معها. وهو لا يقوم بذلك الا من باب الواجب نحو قريبه ومستخدمه.

ومن المحتمل انه كان يشعر بملل لدرجة الموت برفقتها. ولكنه كرجل معتاد على المغامرات مع النساء واللعب بعواطفهن قادر على اخفاء انزعاجه من رفقتها.

ومن المؤكد ان السير ايڤارارد سيعلم بكل تفاصيل هذا النهار، ومن الممكن ايضاً ان تكون نزهتها في العربة العامة كل حركاتها فخاً محكماً من صنع ايڤارارد نفسه كي يثبت لمحاميه ولكاتب العدل بان الآنسة توماسينا كات لوكاس لا تملك المواصفات الضرورية لأن تكون اللايدي فورتين.

«يا له من متعجرف!».

احمر وجه السيدة سكوت وهي تقرأ رسالة موجهة للآنسة توماسينا لوكاس والتي وصلت عن طريق المحامي وكاتب العدل.

يبدو ان السير ايڤارارد قرر ان الحياة في لندن ستكون متعبة للآنسة لوكاس، وبالنتيجة نظم لسفر السيدة سكوت والآنسة لوكاس غداً الى ستيل واتر الهادئة. حيث يملك منزلاً بقرب فايركورد وسينضم اليها هناك قريباً.

ولقد ارسل تعليماته لرئيس الخدم هناك كي يجهز غرفتيهما في ستيل واتر، وان يقفل منزله في كونوت سكوير الذي يقيمون فيه حالياً.

«من حسن الحظ ان يكون لديه مثل هؤلاء الخدم الفاعلين» قالت تامسن بحسن لأنها لن تستطيع ان تتابع زيارة المعرض، ومن المؤكد ان ايڤارارد مصر على ازعاجها

وحرمانها من اي شعور بالفرح، تماماً كما كان يفعل وهي صغيرة. وهذا ليس مشجعاً بالنسبة لمصالحتها القادمة.

«لقد اخبرني السيد جون بان رئيس الخدم والمدبرة هما في خدمته منذ ايام السير اوليفر، وبانهم يعرفون ايڤارارد منذ ان كان طفلاً، وهما يهتمان بكل الترتيبات الضرورية مع المحامي وكاتب العدل عندما يقرر السير ايڤارارد ان يقفل احد منازله وان يفتح آخراً».

«اعتقد بان هذا يكلفه ثروة كبيرة. لأنه يضطر لدفع مبالغ كبيرة للمحامي ولكاتب العدل عندما يرغب بالقيام باي شيء، ولكن عندما سيتزوج ستهتم زوجته بهذه الاعمال مما سيوفر عليه اموالاً كثيرة» قالت السيدة سكوت بحدة.

«على كل حال، بما انه سيحصل على ورث والده لن يكون بحاجة لكل هذا».

«اذن يجب علينا ان نحزم امتعتنا مرة ثانية ونتحمل اعباء السفر، هذا فعلاً لا يطاق!» اضافت العمة بانزعاج.

«اعتقد انه بامكاننا اقناع السيدة ادغكومب بالانضمام الى ابنتها، على الاقل لن نكون وحدنا هناك. وانا اذكر ان ذلك المنزل جميل جداً».

لأن ستيل واتر كانت آخر مكان رأت فيه تامسن وهي صغيرة ايڤارارد.

«اذا كان يرغب بالاحتفاظ بهذا المنزل الرائع، فعليه ان يتزوجك».

وابدت السيدة ادغكومب حماساً للانضمام الى ابنتها، وكانت تتمنى ان لا تفوت عليها اللقاء بين السير ايڤارارد

وتامسن. وهكذا يصبح بامكانها ان تفتخر بانها من اقدم اصدقاء السير ايقارارد واللايدي فورتين. وهذا اسم مهم بالنسبة لأمرأة لديها فتاة بسن الزواج.

وكانت السيدة سكوت تضايقت كثيراً عندما قرأت تتمة الرسالة.

«انه يجرؤ على فرض الطريقة التي يجب عليها اتباعها في السفر! هذا غير معقول وبالقطار ايضاً! لقد حجز لنا مكانين في مقصورة الشرف. والرحلة بين بادنغتون وسويدون تستغرق ساعتين، يا له من جنون انه يريدنا ان نسافر بسرعة! وستنتظرنا سيارته في سويدون وستقطع بها الخمسة عشرة كيلو متراً الاخيرة. اتمنى ان لا نصل امواتاً الى هناك».

تجاهلت تامسن ملاحظة عمتها عن تعب السفر، وكانت تعلم ان عمتها يعجبها مثل هذا المنطق. وكانت السيدة سكوت مثل الدوق ويلنغتون تكره توسع شبكة السكك الحديدية، ان هذا الاختراع يشجع الناس على السفر، بدل ان يعملوا في اراضيهم.

«هل يطلب من السيد جون ان يرافقنا؟».

وكان السيد جون يزورهما يومياً بعد الظهر، ومنذ ذلك اليوم الذي زارا فيه معاً المعرض. لم يعد يظهر لها تلك النظرات الحارة. وكأنه فقد اية اثارة تجاهها، وهو يكتفي بالقيام بواجباته تجاه السير ايقارارد، ولكن لا يود سبب لتبدل موقفه منها، وهي تفضل ان يعود للطافته معها. ولقد لاحظت انه لم يعد متحمساً لمرافقتهما لاي مكان.

«انه لا يشير الى السيد جون، واعتقد بان جون لا يعرف بهذا المشروع الجديد، والا لكان اخبرنا، انه على الاقل رجل يعرف كيف يتعامل مع السيدات. وقد يكون ظرفه وحالته هو سبب تواضعه، بينما السير ايقارارد تربى في بيئة غنية وقوية، ولهذا السبب هو متسلط».

اتكون زيارتها مع جون للقصر الزجاجي هي سبب هذا القرار المفاجيء؟ اذا كانا الامر هكذا، فلهذا الامر قبل السيد جون مرافقة تامسن في عربة العامة، كي يزيد من انطباع قريبه السيء عنها.

«هل من المحتمل ان يكون السير ايقارارد في استقبالنا في ستيل واتر؟».

«اتمنى ذلك، لكي اكشف له عن حقيقة افكاري!».

«سأكون مسرورة في لقاء ليوني من جديد» اضافت تامسن وهي تعرف بان عمتها لن تشاركها هذا السرور. ولم تكن عمتها تعلم ان لديها سبب خاص يجعلها ترغب في رؤية ليوني، انها ستتمكن من شرح الاسباب لها التي منعت السيد جايمس من اللحاق بها الى مقاطعة كلوسيستر.

ونجحت في ارسال رسالة لصديقتها مع السيدة ادغكومب التي كانت مقتنعة باستقامة تامسن. ودون ان تلمح تامسن الى السيد دايفيد جون كتبت لصديقتها عن كل الروائع التي رأتها في المعرض وفي القصر الزجاجي ووصفت لها بحماس غرفته في منزل كونتغ سكوير، وفي النهاية كتبت لها ملاحظة غامضة.

«لندن حزينة جداً حالياً، لأن البعض يرغبون بمغادرتها وبالتوجه الى الريف، ولكن واجباتهم المهنية تمنعهم من اتباع اهواء قلوبهم» ثم اضافت حزورة لغز.

«اولي هو نبي عند تلاميذ، ثاني هو نوع من سلة وكلي كائن عزيز يسعى لكسب عيشه لم الحزورة صعبة، ولم تجد ليوني صعوبة في معرفة انها تعني اليوت جايمس.

وفي بعد ظهر هذا اليوم، عندما خرجت تامسن نزهتها حول الحديقة كان جايمس ينتظرها كعادته كل يوم منذ لقائهما الاخير، وبصوت منخفض اخبرته بانها ستسافر الى ستيل واتر.

«و... انا... ايضاً» اجابها مبتسماً ومتلعثماً ثم اضاف.

«سأذهب لرؤيتها بعد يومين او ثلاثة ايام على الاكثر. آه انا سعيد لأنني سأراها اخيراً! لقد مضت علي ثلاثة ليال لماذق فيها طعم النوم».

«اذن اتمنى ان نلتقي هناك سيد جايمس».

«لا ادري، آنسة لوكاس، لانني يجب ان ابقى مختفياً هناك، والا ارسلتها والدتها الى مكان آخر لا يعلم به غير الله».

اعجبت تامسن بحبه لليوني وبشوقه اليها. انه شعور رائع حقاً، لا بد ان ليوني ستجد وسيلة للقائه بالسر. وسيكون وجود صديقتها تامسن هناك عذراً سهلاً لخروجها. وستشجعها والدتها على زيارة صديقتها التي ستصبح اللايدي فورتين، واللقاءات في الري تكون عادة اقل خطراً

منها في شوارع المدينة.

عندما تركت تامسن السيد جايمس وعادت الى فندق آل فورتين، وهي لا تزال تفكر بالحب القوي الذي يكنه جايمس لليوني، يبدو وكأنه فقد جزءاً من كيانه. وعندما عاد السيد دايفيد جون لزيارتهما المعتادة، كان لا يزال وجه تامسن متأثراً بمتاعب الرسام الشاب.

من الواضح ان دايفيد جون لم يكن على علم برحيلهما، لأنه ابدى دهشة وأسفاً كبيراً لأنه لن يستطيع مرافقتهما الى ستيل واتر.

«يا للأسف، لأنك لن تستطيع مرافقتنا» تأسفت عمتها وكانت قد اعتادت على وجود السيد جون وهذا يطمئنها كثيراً. وكانت تتمنى ان يرافقهما في رحلتهما بالقطار الذي يخيفها كثيراً.

«انا آسف، سيدتي، ولكن يمكنني اذا اردت ان ارافقكما فقط الى بادينغتون واطمئن انكمكا ركبتما القطار مرتاحين الى ستيل واتر».

«اتعتقد ان قريبك السير ايڤارارد سيكون في استقبالنا في ستيل واتر؟» سألته تامسن بقلق.

فرفع جون حاجبيه، وقال لها بانه لا يعلم شيئاً عن نوايا ايڤارارد حالياً.

في صباح اليوم التالي وصلت الرسالة من السيدة ادغكومب تعلن فيها انها قررت السفر الى فايرفورد حيث تقيم ابنتها حالياً في بيت كاهن الرعية خالها. وبامكانها السفر معهما غداً.

«ماذا قلت لك؟» قالت السيدة سكوت لتامسن وهي مبتسمة بعد ان قرأت رسالة السيدة ادغكومب.

لم تجبها تامسن لكنها اكتفت بالابتسام لفكرة ان القدر يتسلى قليلاً. ويجعل السيدة ادغكومب والسيد اليوت جايمس يسافران على متن نفس القطار.

الفصل العاشر

وكما وعدهما السيد جون، الانيق دائماً، لم يتأخر في الوصول بالوقت المحدد. لمرافقتهما حتى محطة القطار الى بادينغتون. وعندما وصلوا الى المحطة كانت سحابة من البخار تغطي القطار الحديدي. واخذت السيدة سكوت تنظر الى القطار بخوف وكأنها امام وحش سينقض عليها.

ولكن قلقها خف قليلاً عندما جلسوا في المقصورة المريحة، وتأكدت ان المسافرين الآخرين كلهم محترمون.

«صدقيني، سيدتي ان الملكة نفسها تسافر احياناً بالقطار» طمأنها السيد دايفيد جون مبتسماً ثم وضع من يده سلة امامها واضاف.

«سيساعدكن عل تحمل السفر ومشقاته، واذا شعرتن بالبرد فقد احضرت ايضاً زجاجة من الكونياك وبعض

www.rewity.com

الكؤوس».

«نحن ممتنتان لك، لكل ما تفعله من اجلنا. ونحن سنخبر السير ايڤارارد باهتمامك الكبير بنا. وانا متأكدة من انه نفسه لم يكن ليهتم بنا كما تفعل انت، اليس كذلك تامسن؟».

«وانا ايضاً، يجب ان اشكرك للطفك واهتمام بنا» همست تامسن بصوت مرتجف واضافت.

«سنفكر بك دائماً، ونتمنى ان تزورنا في اقرب فرصة في ستيل واتر».

تنهدت السيدة سكوت وقالت لنفسها انه لا سبيل لاي شيء آخر، هذه الصغيرة لن تعرف ابداً كيف تسيطر على توترها، عندما ستصبح اللايدي فورتين، خاصة اذا لم تنجح في السيطرة على مشاعرها تجاه شخص لطيف ومحبوب كالسيد جون قريب ايڤارارد.

استأذن السيد دايفيد جون ونزل من القطار بينما ظلت تامسن تنظر اليه وتحاول جهدها ان لا تبكي، كان بامكانه على الاقل ان يعبر عن امله في رؤيتها مرة ثانية...

واطلقت صفارة القطار معلنة الانطلاق، وتعالت الاصوات وصفقات الابواب، وبدأ القطار بالتحرك، فلوحت تامسن والسيدة سكوت بمنديلهما باتجاه الرجل الذي لا يزال يقف على الرصيف. وبسرعة البخار والمسافة ابعدته عن نظريهما.

فعادت تامسن للجلوس وقلبها حزين، وشعرت بان ارادة السير ايڤارارد السيئة تمنعها دائماً عن كل ما تتمناه، وعن

اعز شيء... ودون ان تدري لمع في قلبها نور وكأنه البرق في ليلة بدون قمر. انها تحب دايفيد جون هذا!.

فارتبكت مشاعرها، ونظرت الى عمتها، فرأتها تنظر من النافذة ولحسن الحظ لم تلاحظ ما يجول برأس ابنة اخيها.

لماذا يحصل لها كل هذا؟ انها لم تحاول من قبل ان تثور على القدر الذي رسمه لها والدها، والآن فقط شعرت اكثر من اي وقت آخر ان فكرة الزواج من ايڤارارد تخيفها جداً. خاصة وانها لن تتمكن ابداً من البوح بحبها للشخص الذي تحبه كثيراً. ولن يسمح دايفيد جون لنفسه ابداً بحب خطيبة الرجل الذي يدين له باشياء كثيرة. وقد لا يكون يرى فيها سوى فتاة بسيطة لا يوجد فيها اي شيء مثير.

انها لا تملك اية خبرة في الحياة، وهذا ما جعلها تتعلق باول رجل تتعرف عليه! وهي تعرف بانه لم يحاول ان يثير اعجابها بلطفه، انه فقط كان يحاول تنفيذ اوامر ايڤارارد، ولكن تلك القبلات في لقائهما الاول في تلك الحفلة... وقد تكون هذه مؤامرة... آه، لا يجب ان تفكر به ابداً.

«عزيزتي توماسينا، يجب ان تأكلي شيئاً، ان هذا الطعام شهي فعلاً. وبامكاني ان اقول بان السيد جون يحاول ان يدللنا، لقد احضر لنا ايضاً الحلوى بالفريز! وهكذا لن نموت من الجوع خلال هذه الرحلة، كما وانه من الافضل ان لا نصل لزيارة احد ونحن نشعر بالجوع الكبير. وقد يكون السير ايڤارارد في استقبالنا، ويجب ان نثير عنده انطباعاً جيداً عنك خاصة يا عزيزتي».

«اعتقد ان الغبار دخل الى عيني» همست تامسن بصوت

مخنوق وهي تمسح دموعاً سالت على وجهها لمجرد التفكير بلقاء السير ايڤارارد فتأملتها عمتها وكانت تعلم بانها ليست متحمسة جداً لزوج المستقبل، ولكنها كانت تقنع نفسها بان توماسينا ستعتاد عليه. بالاضافة الى كل ما سيؤمنه لها هذا الزواج، ستقتنع فيما بعد بان هذا الزواج افضل لها، نعم ان هذا حزين قليلاً. ولكن اليس هذا امل اكثر النساء.

تناولت تامسن قطعة من الحلوى وهي تنظر بحزن الى تلك المناظر الريفية. وكان القطار يسير بسرعة كبيرة جداً. وكانت تفكر بان كل حركة من هذا القطار تقربها اكثر من ستيل واتر ومن زواجها من ايڤارارد، وتبعدها اكثر عن لندن وعن سعادة وعن دايفيد جون.

ثم اغضمت عينيها كي لا تتحدث مع عمتها وتخونها الكلمات، ونامت ولم تستيقظ الا عندما هزتها يد عمتها.

«تامسن، لقد وصلنا الى سوندن يجب ان ننزل ونبحث عن عربة السير ايڤارارد وعن من يحمل حقائبنا».

استقبلهما سائق العربة الخاصة ورحب بهما بحرارة مما لفت اعجاب السيدة سكوت وقالت لنفسها، لا بد ان ايڤارارد رجلاً قوياً وله نفوذ كبير!.

وشعرتا بالراحة عندما ابتعدتا عن بخار القطار وضجيجه، وركبتا في العربة العالية المريحة التي يجرها حصانان.

«ان الطريق طويلة من سوندن الى ستيل واتر» قال لهما الحوذي واضاف.

وبما ان الطقس بارد جداً، لقد وضعت لكما السيدة كول اغطية صوفية كي لا تشعران بالبرد».

واشار الى حرامات على احد المقاعد، وفتح صندوقاً فيه زجاجات وكؤوس مرتبة واضاف.

«اذا شعرتما بحاجة للشراب، سيداتي...».

فنظرت العمة الى تامسن ولاحظت شحوب وجهها.

«هيا، تامسن يجب ان تشربي كأساً من البورتو. فانت شاحبة ومتعبة، والشراب سيفيدك».

فاطاعتها تامسن وشربت القليل، وشعرت ببعض الدفء في جسدها، لكن هذا الشراب لم يكن قادراً على بعث الحرارة في قلبها. وعلى التخفيف من حزنها. وسارت بهم العربة في طرقات طويلة بين القرى والمنازل والحقول.

«كل هذه الرحلة متعبة حقاً، وتوتر الاعصاب» قالت عمتها بانزعاج.

ولكن تامسن لم تشعر ابداً بالرغبة في الحديث مع عمتها بكل هذا، وهي متأكدة ان السير ايڤارارد ينتظرها بقليل من الحماس مثلها تماماً.

وبعد الظهر عبرت العربة حدود الحديقة الواسعة، ورفع البستاني قبعته باحترام وابتسم وهو ينظر بفضول نحو الفتاة التي ستصبح اللايدي فورتين.

يبدو ان الستيل واتر منزل اجمل بكثير مما كانت تذكره واعجبت عمتها كثيراً بهذا المنزل المبني بطريقة رائعة. وبالقرب منه نهر صغير والحديقة مزروعة باجمل انواع الزهور.

بالتأكيد، توماسينا محظوظة ولا يمكنها ان تبقى حزينة في مثل هذا المنزل وهذا الثراء الذي سيصبح كله ملكاً لها!.

استقبلهما مارتون رئيس الخدم والسيدة كول بحفاوة واحترام كبيرين. واعلماهما بان السير ايڤارارد لم يصل بعد. وبانه سيصل بين يوم وآخر. وبانهما تلقيا اوامر بالقيام بكل ما تحتاج الضيفتان وتمنيا لهما اقامة مريحة في ستيل واتر.

مريومان قبل ان تشعر السيدة سكوت وابنة اخيها بالراحة من تعب السفر. وقررتا ان تقوما بزيارة لادغكومب في فارفورد.

وازداد اعجاب السيدة سكوت عندما لاحظت انهما تعاملان بطريقة افضل بكثير من كوننغ سكوير، وكانت تتشوق للتفاخر امام السيدة ادغكومب بهذا المنزل الكبير بغرفه المفروشة بشكل رائع، وكانت سعيدة جداً على عكس تامسن.

ومنذ وصولها الى ستيل واتر، كانت تامسن تشعر بانها ضائعة في احلامها. هل انطفأت رومنطيقية ليوني؟ الا تزال هي متمسكة بواجبها لتنفيذ رغبة والدتها الاخيرة؟ ان اسئلة كثيرة تقلق بالها...

وكان الطقس جميلاً، ومروا على قرية بين ستيل واتر وفارفورد، وكانت السيدة سكوت لا تزال تثرثر بما ستقوله للسيدة ادغكومب، لكن تامسن كانت تسمعها بدون تركيز وتنظر حولها بعيون حزينة.

وعندما وصلوا الى ساحة القرية، لاحظت تامسن فندقا صغيراً يقف امامه مسافر ينزل حقائبه بمساعدة موظف في الفندق، وكان المسافر يلبس معطفاً واسعاً وقبعة عريضة، وبوط مليء بالغبار. وكانت ضحكاته وحركاته تجعلها تظن انه بائع متجول ينزل بضائعه. وقبل ان تدير عيونها عنه، وفجأة التفت المجهول الى الحوذي وقال له شيئاً بسرعة. فدهشت تامسن. هذا مستحيل! ان نظرها يخدعها! ولكن هذا الزي الذي يرتديه يجعلها غير قادرة على التميز جيداً، لكنه هو... هو الذي لا تتوقف عن رؤيته في احلامها منذ رحيلها عن لندن... الرجل الذي لن تستطيع ان تنساه.

ولكن ماذا يفعل في فندق على بعد بضعة كيلومترات فقط من ستيل واتر؟ ولماذا لم يخبرها عن نواياه؟ ولماذا اختار هذا السكن بينما يمكنه ان يقيم في منزل قريبه المريح؟.

هذا شيء غريب حقاً! واقتنعت تامسن بان السيد دايفيد جون مشترك مع السير ايڤارارد في تدبير مؤامرة للتخلص من الزواج بها.

وقد يكون ايڤارارد طلب منه ان يلاحق تامسن متخفياً كي يراقبها من اجل تحقيق هدفه. واثبات ارتكابها اخطاءً هنا كما يحصل في لندن. هذا هو الاحتمال الوحيد الذي يفسر وجود دايفيد جون وتنكره.

لحسن الحظ لم تلاحظ العمة شيئاً، وبعد قليل عاد اللون الطبيعي الى وجه تامسن، ولكنها قررت ان لا تثق ابداً بعد اليوم بالسيد جون.

كانت ليوني محقة عندما قالت لتامسن ان خالها سبتيموس وخالتها سوفورينا يملكان نقاطاً عدة متشابهة مع العمة سكوت.

وبعد قليل من الوقت سمح لليوني وتامسن بالقيام بنزهة في حديقة منزل كاهن الرعية، وبرغم شكواها من انها ستموت من الضجر، الا ان ليوني كانت تبدو بصحة جيدة ووجهها مشرق. وترتدي ثوباً من الحرير الازرق لا يتناسب مع هذا المنفي. وكانت بفارغ الصبر لسماع كل التفاصيل من صديقتها عن لقائها مع جايمس.

الفصل الحادي عشر

وبانتظار وصف حالة حبيبها البائسة لم تستطع منع نفسها من التنهد، وبعد ان وصفت لها تامسن حالة جايمس.

«شكراً لله، سيكون عزيزي اليوت هنا قريباً، لم اشعر بمثل هذا الملل من قبل! بالتأكيد، يوجد هنا بعض الشبان وللحقيقة اعجب بي الكثيرين خلال مواعظ خالي الطويلة، ايام الاحاد. ولكن لا يستحق اي واحد منهم اكثر من نظرة فقط...».

وكانت تامسن مندهشة من السهولة التي تجدها صديقتها في الترفيه عن نفسها اثناء غياب حبيبها اليوت!.

«الوحيد الذي يستحق الاهتمام، بالتأكيد هو عزيزك ايڤارارد، ولكنه ليس هنا، اعتقد يا عزيزتي انك لا تعلمين حتى الآن متى سيصل، اليس كذلك؟ انه فظيع حقاً، لا

www.rewity.com مروورية

يحق له ان يتركنا هكذا».

لم تجبها تامسن وظلت شاردة.

«يا عزيزتي، المسكينة انك شاحبة! تبدين كتلك الفتيات التي تصورهن قصص الغرام الفرنسية، ولكن يجب اولاً ان يكون القلب مجروحاً، وانا متأكدة ان قلبك سليماً الا تزال عمتك فظيعة معك؟ ام ان زيارة المعارض اتعبتك؟ ام ان قرب موعد الزواج يقلقك؟ وأنت تعلمين ان السير ايڤارارد ليس مخيفاً كما يقال...».

ابتسمت تامسن واجابتها.

«لا، انا متعبة فقط من طول السفر والحياة في لندن...».

«والسيد دايفيد جون قريب ايڤارارد، كيف هو؟ هل هو عجوز ممل ام انه شاب جميل؟».

«الوصف الثاني اقرب للحقيقة، على كل حال، لقد كسب اعجاب عمتي، وهذا دليل على قوة شخصيته» وابتسمت تامسن بمرارة.

كانت ليوني سعيدة جداً باهتمام تامسن لامالها ولمشاريعها عن السعادة مع جايمس.

«لقد فكرت كثيراً، وقلت لنفسي بما ان السير ايڤارارد التقى في باريس بحبيبي اليوت، وبما انه اعجب بفنه، فقد لا يعارض فكرة مساعدته قليلاً، انت تعرفين كيف هو العالم... فكلمة في احدى المحادثات او ملاحظة صغيرة عن موهبته وتفتح ابواب واسعة امام اليوت، واعتقد انك متفقة معي بانه فنان موهوب، وهو لا ينقصه سوى فرصة

للنجاح، واذا كنت تريدين ان تشيري للسير ايڤارارد عن كفائته، فأنا متأكدة انه سيساعده بكل سرور...».

لم تكن تامسن قادرة على تصور لاية درجة يمكنها التأثير على زوج المستقبل، ولكنها ستحاول اقناعه بمساعدة اليوت اذا لاحظت انه يستلطفه.

«سأحاول جهدي ولكني لا اعرف اذا كان سيستجيب لي».

وفي طريق العودة كانت عمتها تزثر كثيراً فاعتذرت عندما وصلت الى القصر بحجة ان رأسها يؤلمها ودخلت الى غرفتها، وفجأة انتبهت الى رسالة موجودة على المدفأة.

فدقت على جرس الخدمة وسألت الخادمة.

«من اين جاءت هذه الرسالة، ماري؟».

«لقد احضرها ولد صغير من القرية، واعطاها للبستاني، وطلب ان لا تعلم السيدة سكوت بامرها، وانا وضعتها هنا كي تلاحظيها عند عودتك، اعتقد انه لا يوجد ما يزعجك آنسة؟».

فابتسمت تامسن وشكرتها ثم فتحت الرسالة وهي تتساءل عن صاحبها، وعلى كل حال، عمتها لا تعلم بهذه الرسالة، ولكنها متأكدة ان صاحب هذا المنزل سيعرف بها، ونظرت حولها ان كل هذا سيكون لها اذا تزوجت من الرجل الذي تكرهه، والذي لا يحبها ايضاً، وهي فتحت قلبها رجل آخر لا تعرف حقيقته.

ثم قرأت الرسالة بدهشة كبيرة.

«عزيزتي الانسة لوكاس، انتظرك صباح غد في اطلال

الطاحونة القديمة، بامكانك ان تجتازي بكل سهولة الجسر الخشبي فوق النهر الصغير، واسلكي الطريق المؤدية الى فارفورد لمسافة كيلومتر واحد، يجب ان اكلمك، لان مشكلة طارئة تواجهني ويجب ان اعترف لك بها، سأنتظرك طيلة فترة ما قبل الظهر. خادمك الوضيع، دايفيد سانت جون».

لم تكن تامسن تنتظر ان يكون خطه بمثل هذه الفوضى انه اشبه باقدام الذبابة، على غير ما يبدو من شخصيته، ولكن قد يكون هذا فخاً جديداً حسب معلومات السير ايثارارد، والافضل لها ان لا توافيه الى هذا الموعد، وبالرغم مخاوفها، الا ان قلبها يهمس لها بانها لا ترغب سوى برؤية دايفيد جون، وقد تكون هذه آخر فرصة امامها، لانه من المنتظر وصول ايثارارد بين يوم وآخر...

كانت تريد ان تعرف كيف سيفسر وجوده هنا، وما هو هذا السر الذي يريد ان يعترف به؟.

في اليوم التالي طلب من عمتها السماح لها بالذهاب للنزهة، وسارت بين الحقول حتى وصلت الى الجسر الخشبي وقطعت المسافة بين الضفتين، كانت تخاف ان يراها احد الفلاحين ويخبر الجميع بأن خطيبة السير ايثارارد على موعد سري مع رجل مجهول...

عندما وصلت الى الطحونة لاحت السيد دايفيد جون مستنداً الى احدى الصخور وغارقاً في افكاره.

توقفت تامسن وحاولت السيطرة على دقات قلبها المسارعة.

«صباح الخير... سيد جون».

فالتفت فوراً واشرقت عيناه.

«عزيزتي الانسة لوكاس، كم انا سعيد لانك جئت، وكنت اخاف ان لا تتمكني من المجيء، كم انت جميلة هذا هذا الصباح! ولكنك شاحبة قليلاً، تفضلي واجلسي هنا بقربي».

وبسط معطفه على الصخرة، فاحمر وجهها وجلست، ولم تكن قد تناولت وجبتها كاملة عند الفطور وهي تشعر بالعطش من الحر والسير، ولاحظ جون تعبها وبسرعة تناول من حقيبته زجاجة وكأسين.

«هذا ليس افضل نوع من الخمور، ولكنه افضل ما وجدته في الفندق، فلنشرب نخب صحتك آنسة لوكاس».

ثم وضع على المنشفة بعض المقبلات الخفيفة.

«لقد اكدت لي صاحبة الفندق، انها صنعتها بنفسها ولقد تزوقتها بنفسي وهي لذيذة مع القليل من الخمر، لقد نحفت قليلاً منذ آخر مرة التقينا فيها في لندن... هل هناك شيء يزعجك؟ الا تريدين ان تثقي بي؟ قد اتمكن من مساعدتك».

«انك حقاً آخر شخص ممكن ان اثق به».

«ولكن لماذا؟ اعتقدت انك تعتبريني صديقاً؟ تامسن...» انها المرة الاولى التي يناديها بأسمها الصغير.

«اوه، عفواً، آنسة لوكاس، ولكن كل مرة افكر بك فيها افكر بتامسن، وليس بالانسة لوكاس...».

«اتفكر بي احياناً؟».

«اتشكين بذلك؟».

«اعتقد انك تتصرف معي فقط حسب تعاليم السيد ايڤارارد».

«وهل انت عمياء؟ الا ترين بأنني افر بك فقط لارضاء نفسي، ايجب حقاً ان تعتبري كل شيء افعله بناء على اوامر السير ايڤارارد؟».

«بالتأكيد».

«حسناً، انك مخطئة تماماً» وفقد صوته الحنان وأضاف بحدة.

«لكني اعتقد ان فكرة واحدة تراودك، الحصول على اعجاب ايڤارارد الذي لم تريه ابداً، ولكنه يناسبك لانك ترغبين بكل ما ستحصلين عليه بالزواج منه».

فسالت الدموع على وجه الفتاة.

«يا الهي، ماذا قلت حتى جعلتك تبكين هكذا؟».

«اوه، انت لا تريد ان تفهمني» اجابته وهي تبكي.

«انا افهمك تماماً، انك كالاخريات، ما ان رأيت منزل كوننغ سكوير وستيل واتر وأنت تتمنين ان تصبحي اللايدي فورتين، ولا تستميعين على مشاعر قلبك» اما هذا الاتهام الفظيع، صرخت تامسن بغضب.

«انا لا ارغب ابداً بالزواج من ايڤارارد انا اكرهه...».

ثم ادركت الى الذي تعترف له بمشاعرها، فخبأت رأسها بين يديها.

«لماذا لا تريدين الزواج منه؟ لتثأري منه لانه يرفض ميراث والده من اجلك؟... انك ستخسرين اكثر منه،

فأنت لا تملكين اية ثروة بينما هو لا يزال يملك قسماً كبيراً من ثروة والدته».

«حسب الوصية، لم يترك لي والدي شيئاً غير الزواج من ايڤارارد عندما ابلغ الثامنة عشرة، وذلك لانه خسر كل املاكه بلعب الورق مع السير أوليفر ويبدو بوضوح ان السير اوليفر كان متفقاً معه وهما عندما قررا ذلك كانا يسعيان لعدم وقوعي في غرام رجل آخر انهما كانا متمسكين كثيراً بهذا الزواج... والآن اذا تخليت عنه، وكما تقول عمتي لن يتقدم احد آخر للزواج مني لانني لا املك اية ثروة ولقد تربيت على فكرة احترام ارادة والدي الاخيرة، والا سينتهي بي الامر للعمل خادمة في البيوت».

«ايڤارارد لديه عدة نقائص، لكنه ليس غبياً، كان بامكانه ان يفسخ هذه الوصية، لكنه لم يفعل ذلك، وهو يعرف بانك لا تكنين له اية عاطفة، وذلك لانك لم تريه منذ ان كان في الرابعة عشرة من عمره، ومع ذلك كان يعتقد بانك ستتزوجيه فقط بسبب ميراثه».

«ابداً، لا اعتقد انه قادر على التفكير بي هكذا».

«لانك لا تعرفينه جيداً، واظن انك تذكرين ذلك الصبي الجحود بينما هو لا يذكر سوى تلك الفتاة المشاكسة».

«واليوم، لدي سبب آخر يمنعني من تنفيذ وصية والدي».

«ماذا تقولين؟».

فلم تجبه وظلت تنظر الى كف يدها عليها تقرأ فيه قدرها.

«الأنك عاشقة...؟ وستتخلين عن كل شيء، عن ستيل واتر، عن الفن والوجاهه لأجل هذا الحب؟».

«نعم» اجابته هامسه بحزن.

«اذن اتمنى ان يكون الرجل الذي تحبينه يقدر مدى تضحياتك من اجله».

الفصل الثاني عشر

يا لهذه السخرية! هل جاء بي الى هنا فقط ليحبك لي فخاً حسب تعليمات ايفارارد؟ على كل حال لقد نجح بذلك وبمساعدتي شخصياً. انني مجنونة حقاً لأنني اعترفت له بذلك، ومن المؤكد ان المحامي وكاتب العدل لن يطالباه بالزواج من فتاة اعترفت بحبها لرجل آخر... والاسوأ من ذلك، ان الرجل الذي تحبه هو سبب دمارها! نعم انه لا يشعر بشيء تجاهها...

«اشربي القليل بعد، تامسن امرها دايفيد جون بصوت حنون.

فنظرت اليه وكان يبدو وكأنه يفكر بحل لمشكلة صعبة وشربت كأسها وهي تفكر ان كل حياتها بين يديه، حبها وسمعتها وسعادتها.

www.rewity.com مـــروريـــة

وفجأة اشرق وجهه واخذ يصفر بفرح ثم نهض وهو ينظر حوله.

«ولكن ماذا تفعل، سيد جون؟» سألته تامسن بذهول.

«ابحث عن افضل زاوية لالتقط لك صورة آنسة لوكاس، وهذا احد الاسباب التي دعتني لطلب حضورك الى هنا، واحضرت معي كل الادوات اللازمة».

«اتريد ان ترسل هذه الصورة للسير ايثارارد، كي يرى زوجة المستقبل؟».

«لا، خاصة وانت بهذا الثوب وشعرك منفوش هكذا! انني اريد هذه الصورة لي انا كذكرى لهذا اليوم الرائع».

ثم بدأ باخراج ادواته من الحقيقة وهو يتأملها باعجاب.

«يجب ان تحاولي الابتسام بشيء من الحزن. هذا يعطي للصورة سحراً شاعرياً. ولكن ليس بالشكل الذي انت عليه الآن».

ثم اقترب منها ووضع يديه على كتفيها وهو يحاول ان يركز وقفتها.

«كوني هادئة، توقفي عن الحركة وكأنك سمكة في شبكة الصيد! هيا امسكي هذه الزهرة بيدك، انزلي ذراعك قليلاً هكذا...».

فضحكت تامسن رغماً عنها.

«سيد جون، تبدو احياناً كثيرة وكأنك استاذ في مدرسة».

«فقط عندما اكون امام فتاة تتصرف كتلميذة صغيرة حسناً، لا تتحركي والا ذهب تعبي عبثاً واصبحت غاضباً.

وقد لا تتكرر هذه الفرصة مرة ثانية».

ومع ان هذه هي المرة الاولى التي تتصور فيها تامسن فوتوغرافياً، الا انها احست بان شيئاً قوياً وغريباً يربط بينهما. وتعجبت من نفسها لأنها منذ قليل فقط اعتقدت انه عدوها.

«حسناً، انتهيت، بامكانك الآن ان ترقصي ايضاً اذا اردت. ستكون صورة ناجحة وسأسميها حورية الطاحونة».

«انك حتى الآن لم تقل لي ما هو السبب الذي جعلك تطلب مني الحضور الى هنا...».

«احقاً، لم تعرفي حتى الآن؟» سألها بصوت منخفض دون ان يرفع نظره عن اداوته، وبعد ان انتهى من ترتيبها، اقترب منها ووضع يديه على كتفيها.

«تامسن، انظري الي جيداً، الم تعرفي السبب حتى الآن؟».

«الهذا علاقة بالسير ايثارارد؟» سألته بخجل.

«آنسة توماسينا كات لوكاس، انك فتاة الاكثر اثارة التي التقيتها في حياتي! انك ذكية ايضاً... انه شيء طبيعي... الا تعتقدين ذلك؟».

«انا... انا لا افهم شيئاً، ارجوك ما هو الشيء الطبيعي؟».

«هذا هو!».

وبسرعة ضمها بين ذراعيه وغطى وجهها بقبلاته ثم استقرت شفاهه على شفتيها وقبلها بحرارة.

«الم تفهمي بعد، تامسن بانني احبك واتمنى ان اكون

ذلك الرجل الذي اعترفت لي منذ قليل انك تحبينه؟ واذا لم يكن هذا هو الواقع، فانني اقسم بانني سأقتل ذلك الرجل الذي يجرؤ على رفع نظره نحوك، وبانني سآخذك سجينة الى ان تتعلمي كيف تنسينه».

«او، لا اعلم... اتحبني حقاً؟».

فقبلها مرة اخرى بجنون، واستجابت تامسن لعناقه ثم احاطت جسده بيديها وكأنها تخاف ان يبتعد عنها.

«ستعتقد انني سفيهة، ولكن عندما تضمني هكذا اشعر بانني سأنهار بين ذراعيك» اجابته بهمس.

«يا حبيبتي، الم اقل لك بانك خلقت للحب فقط؟» قال لها بحنان بالغ ولم تكن قد نسيت هذه الكلمات ابداً.

«كم احبك تامسن! لقد احببتك منذ القبلة الاولى تحت السقيفة، كم كنت اضحك عندما كنت ارى احد اصدقائي يقعون في الغرام. ولم اكن اعلم حتى اسمك ولا اذا كنت مخطوبة ام متزوجة. ولكن عندما علمت بانك خطيبة ايڤارارد ادركت ان القدر يعارضني!».

«دايفيد... دايفيد».

«ولكن يا عزيزتي الآنسة لوكاس، لم تعترفي لي حتى الآن، اذا كنت انا الرجل الذي تحبينه؟ والذي ستتخلين عن كل شيء لأجله» ورفع رأسها نحوه، فرأى وجهها الاحمر.

«نعم انا احبك... ولكني خائفة» وعادت فخبأت وجهها في صدره واضافت.

«اخاف من الفضيحة ومن السير ايڤارارد».

«اوه، نعم كدت انساه حقاً» اجابها مبتسماً.

«دايفيد، الا تعتقد بانه سيكون غاضباً عندما يعلم ان خطيبته وقريبه الذي يدين له بالكثير يحبان بعضهما؟ قد لا يكون يرغب بالزواج مني ولكن هذا لن يعجبه بالتأكيد. وقد يحاول الانتقام، وقد يمنع عنك المساعدة المالية».

فهز دايفيد كتفيه «كأن هذه المشكلة سهلة.

«سنواجه هذا الموقف عندما يعترضنا، يا حبيبتي. والآن يجب ان تعودي قبل ان تقلق عمتك!».

فرتبت تامسن شعرها وسألته بخجل.

«الا تريد ان ترافقني الى ستيل واتر؟ بامكاننا ان نشرح لعمتي اننا التقينا على الطريق، وستكون سعيدة برؤيتك، وهكذا يكون بامكاننا ان نكون معاً...».

«لا يا حبيبتي، يجب ان تعودي وحدك. فانا لا اريد ان يراني احد في ستيل واتر، وخاصة الخدم لأن ايڤارارد لم يطلب مني اللحاق بكما الى هنا ولن يكون راضياً اذا علم انني جئت دون اذنه، وهو رجل متسلط لا يقبل ان يعارضه احد». ثم قبلها وناولها المظلة وسألها.

«ماذا ستفعلين بعد ظهر هذا اليوم؟».

«يجب ان اذهب الى فارفورد بالعربة...» ثم خطرت في بالها فكرة فاضافت.

«اذا التقينا على هذا الطريق بامكاننا ان نترافق معاً...».

«انها فكرة عظيمة، اذن سأنتظرك».

وابتعدت تامسن وكل بضعة خطوات كانت تقف وتلتفت

للخلف وتلوح له بيدها بسعادة، نعم انه يحبها لكنه لم يلمح الى الزواج. وخافت عليه كثيراً من غضب ايفارارد، وخافت على نفسه منه ومن عمتها. وبنفس الوقت ليست مطمئنه على مستقبلها مع دايفيد جون. وبرغم التفسير الذي قدمه لها عن تنكره الا انها لا تزال تتساءل اذا كان لا يزال يخفي اسراراً اخرى؟ واذا كان بامكانها ان تثق به تماماً؟.

تركت تامسن الحصان يسير على مهل بانتظار ان يظهر دايفيد بين لحظة واخرى، ولم تكن عمتها قد سألتها عن تأخرها في نزهة الصباح. ولكنها سرت كثيراً لتورد وجنتيها. واثناء تناول الغداء، ابدت عمتها اعجابها الشديد بكل ما اكتشفته في المطابخ وبقية الغرف، وبعد الغداء هيأ لها الحذي عربة صغيرة رائعة، وعندما رأتها تامسن انقبض قلبها لأن كل شيء جميل هو للسير ايفارارد، وهو سيكون غاضباً جداً اذا علم انها خانت ضيافته.

وبعد ان عبرت طريق الطاحونة، رأت رجلاً انيقاً يسير على مهل، فاوقفت العربة بسرعة.

«يا لها من مفاجأة سيد دايفيد جون، انني في طريقي الى فارفورد، بامكاني ان اقلك معي».

«ايتها الآنسة لوكاس، انت لطيفة جداً» وانحنى بشكل مسرحي وابتسم، ثم قفز وجلس بقربها واحاطها بذراعه.

«يا لك من فتاة ماكرة، وانا احبك هكذا، وليس كما تريدك السيدة سكوت ان تكوني».

وجذبها نحوه وقبلها بحرارة.

«اوه، لا يجب ان... قد يرانا احد ما...».

«اذن ستسمحين لي بذلك اذا كنت متأكدة انه لن يرانا احد، يا حبيبتي؟».

فاحمر وجهها ولم تجبه، فربت على ركبتها وطمأنها. وتابعا سيرهما مسرورين وكأنهما اصدقاء قدامى. ولاحظت تامسن مدى سعادته، وكانت تبتسم له بين وقت وآخر. ولم تحاول ان تخفي سعادتها، ولكن يجب ان يتكلما عن مستقبليهما.

«عزيزي، يجب ان نفكر بـ...» ثم سكتت عندما رأت شخصاً تعرفه جيداً يقترب منهما. انها الآنسة ادغكومب، لا بد انها تقوم بنزهة علها تجد حبيبها جايمس. وكانت ترتدي ثوباً انيقاً وتحمل مظلة بيدها. ومن يراها بهذه الاناقة يعتقد انها تسير في ارقى شوارع لندن وليس في مقاطعة ريفية، وكان يبدو عليها الفرح، وهي تتلفت ذات اليمين وذات اليسار.

وشعرت تامسن بالانزعاج عندما اقتربت ليوني، وليس لديها اي شيء تعمله لكي لا يتعرف دايفيد على صاحبة الثوب الحقيقية التي التقى بها في بادن بادن...

«عزيزتي تامسن!» صرخت ليوني بفرح عندما عرفتها ثم اضافت.

«كنت مشتاقة جداً لك، وقلت لوالدتي انني سأنتظرك على الطريق، يا لهذه العربة الرائعة!».

والتفتت نحو الرجل الذي كان يبتسم ريثما يتم التعرف عليه.

من النظرة الاولى اعتقدت انه نفسه السير ايڤارارد الذي عاد فجأة. ولكن هناك شيء مألوف في هذا الوجه...

«انك جميلة جداً اليوم، ليوني ولكن لم يكن يجب ان ترتدي مثل هذا الثوب في مثل هذه الطرقات المليئة بالغبار، اسمحي لي ان اقدم لك السيد جون قريب السير ايڤارارد، لقد التقينا صدفة وعرضت عليه ان اوصله معي الى فارفورد.... انه على موعد عمل عنا، وانا شخصياً تفاجأت عندما رأيته على الطريق» لم تجب ليوني وكانت تحاول ان تتذكر اين التقت بالسيد جون هذا.

«سيد جون، اقدم لك افضل صديقة لي، الآنسة ادغكومب...» وبسرعة نزل جون وانحنى مبتسماً.

«اقسم بانني رأيتك من قبل، جون ولكني لا اذكر هذا الاسم».

الفصل الثالث عشر

«انا لن انسى ابداً وجهك الفاتن، ايتها الآنسة ادغكومب» اجابها السيد جون بمكر ثم اضاف.

«الا تذكرين؟ في بادن بادن...؟ يا للأسف اضطررت لتركك قبل ان نتعرف بالاسماء! امضينا سهرة رائعة في لعب الورق، ولقد ساعدتني في خسارة مبلغ كبير من المال لأنك لم تكوني بارعة في اللعب، وانا كنت اتمنى ان تجلبي لي الحظ بوجهك الطفولي...».

وبينما كان يتكلم شحب لون ليوني، ولون تامسن بنفس الوقت، لقد تذكرت الآن انها رافقته الى الشرفة لتعوض عليه خسارته عندما قال لها.

«ان فتاة جميلة تملك اشياء اخرى غير المال لسداد ديونها، وهذا محبب اكثر من المال...».

www.rewity.com مروريه

وتركته يفعل ولم تكن تعتقد ابداً انها ستراه مرة ثانية، خاصة وانهما لم يتعرفا على اسماء بعض. ونظرت الى صديقتها فقالت لها تامسن ببرودة.

«ستندهش والدتك كثيراً عندما تعلم بانك تعرفين السيد جون» ثم التفتت نحو جون واضافت.

«لم تكن تفكر بانك ستتعرف على ابنة السيدة ادغكومب، اليس كذلك؟».

«اوه، ارجوك تامسن. لا تتكلمي عن هذا الموضوع امام امي وخالي، والا اضطررت لسماع نصائحهما عن الاخلاق ساعات طويلة».

«بالنسبة لي، سأكون كالاخرس» طمأنها جون مبتسماً ثم اضاف.

«لا بد انكما لديكما الكثير من الكلام الذي تتشوقان لقوله لبعض، ولن ازعجكما بوجودي. كما وانه لدي موعد مهم...» ثم شكر تامسن وحياها وابتعد نظرت اليه الفتاتان بصمت وهو يبتعد.

«انك لم تخبريني ابداً عن هذه المغامرة في بادن بادن...».

«اوه، كنت قد نسيتها تماماً. وكذلك لم اره منذ ذلك المساء، لكنه يبدة رجلاً نبيلاً كقريبه ايڤارارد...».

«والآ يا عزيزتي، سأعترف لك لماذا جئت للقائك هنا. لقد تلقيت اخباراً رائعة، ولقد رأيت اليوت! لقد وصل هذا الصباح وهو ينزل في فندق البلدة. ولدينا موعد الآن، ولقد طلبت منه ان يأتي بعد ظهر كل يوم قبل موعد زيارتك لي،

وانا احاول ان اقنعه بالزواج في السر، ولكنه يفضل الانتظار، ولم يعد لي امل غير السير ايڤارارد لانه يمكنه ان يقنع والدتي ويساعد اليوت».

سرت السيدة ادغكومب كثيراً عندما علمت ان ابنتها تعرفت على السيد جون، وتمنت ان يستطيع ان ينسيها الرسام الفقير، وكانت تامسن تتحدث مع السيدة ادغكومب ومع الكاهن وزوجته، بكل لباقة كما علمتها عمتها، ودون ان تظهر القلق الذي يشغل بالها، وكانت تفكر بانها اذا رفضت حب دايفيد، فانه من المؤكد سيخبر السير ايڤارارد بكل تصرفاتها، كما وانها تعلم بانها لا تستطيع ان تتجاهل احاسيسها نحوه. انها لم تحب رجلاً غيره من قبل. ستقوم بواجبها وستتزوج ايڤارارد، ولكنها لن تمنحه قلبها ابداً.

وبينما كانت زوجة الكاهن تعرض امام تامسن الملابس التي ستقدمها للايتام البائسين في فارفورد، فتح الباب فجأة، ودخلت السيدة سكوت عمة تامسن وهي تلهث.

«هذا فظيع حقاً! لقد جئت باقصى سرعة ان هذا الرجل داهية حقيقي!» ورمت نفسها على اقرب مقعد.

«يمكنك الكلام بدون خوف، واعتبرينا كلنا اصدقاء لك سيدة سكوت» قال لها الكاهن بلطف.

«لقد وصلتني رسالة من السير ايڤارارد...».

«ماذا يقول فيها؟» سألها الكاهن مبتسماً، بينما احضرت لها زوجته كوب ماء.

«ولقد ارسل لك رسالة ايضاً، ستتسلمها هذا المساء...».

«رسالة لي، انا؟» سألها الكاهن.

«نعم... نعم، من اجل ترتيبات الزواج».

«ايريدني ان ابارك زواجه من هذه الآنسة الفاتنة؟ سيكون اذن هذا زواج رائع» اجاب الكاهن وابتسم لزوجة المستقبل الذي شحب وجهها وفجأة.

«ماذا كتب لك السير ايڤارارد؟» سألتها تامسن بصوت هادىء.

«انها فضيحة! فانا لم ار في حياتي مثل هذا الامر الفظيع، هكذا...».

«وما هي الفضيحة في زواج خطيبين مخطوبين لبعض منذ مدة طويلة» سألتها زوجة الكاهن بدهشة.

«لقد حصل على اعفاء استثنائي من مطران كلوستر!».

«اعفاء-من اجل الاعلان عن الزواج؟» سألت السيدة أدغكومب بدهشة.

«هذا شرعي تماماً، وحسب النظام الخاص بـ ١٥٣٣...» اجاب الكاهن.

«هذا يعني انه يريد الزواج باقصى سرعة، اوه! هذا رومنطيقي ورائع» قاطعته ليوني.

«لكن ليس هناك ضرورة لهذه العجلة على كل حال...».

نعم، ولكن السير ايڤارارد عاش حياته بشكل فوضوي، ويريد ان يتزوج من توماسينا بظروف استثنائية كي يتمكن الجميع من الثرثرة والقلقلة! بينما انا اسعى منذ طفولتها لأن احافظ على سمعتها الجيدة...». اضافت السيدة سكوت

بمرارة.

«متى قرر موعد الزواج؟» سألتها السيدة ادغكومب بفضول.

«انه سيكون بعد ظهر غد في ستيل واتر، وسيتم الزواج بعد الغد في الساعة الحادية عشرة، اذا لم يكن لدى الكاهن اي مانع...».

«بعد غد؟» سألت تامسن بصوت مرتجف.

«ولكن ليس لديها الوقت لاعداد ثوب الزواج» قالت ليوني بدهشة ثم اضافت.

«ان زواجاً بمثل هذه السرعة رومنطيقي جداً، ولكن لكل شيء حدود، ماذا سترتدين يا عزيزتي؟» فنظرت تامسن حولها بحزن، لا بد انه بحاجة ماسة للمال كي يسرع في عقد الزواج، ماذا ستفعل مع دايفيد جون؟ من المحتمل ان هذا الزواج يحل مشكلة جون ويتركه يبحث عن مغامرة اكثر امان، الا اذا كان ينوي ان يستمر بعلاقته معها بعد زواجها من ايڤارارد، واذا كان السير ايڤارارد قد اهملها كثيراً قبل الزواج، فقد يستطيع ان يغمض عيونه عن تصرفات زوجته مقابل ان يتابع حياته الماجنة، ولقد سبق لها ان سمعت عن ازواج يغضون النظر عن تصرفات نسائهم، ويتسلون باحدى عشيقاتهم، شرط ان يحاط تصرفهم بكل سرية تامة، كي لا يصبحوا مهزلة امام الجميع.

«اعتقد انني استطيع ان ارتدي احد اثوابك، كالعادة...».

«ولكن يجب ان يكون ابيض!».

«والحجاب، وباقة ازهار الليمون؟» سألت السيدة سكوت بانزعاج.

«هذا فظيع حقاً! ان بدء الحياة الزوجية بهذا الشكل، لا ينبىء بمستقبل جيد».

«هيا ايتها السيدات» قال الكاهن بلطف ثم اضاف.

«يكفي ان تكون الآنسة لوكاس انيقة، ولا داعي لليأس وكل ما يهمنا المحبة الاحترام بين هذين الزوجين...».

وبعد صمت قصير، قالت ليوني بمرح.

«ولكن لدي ثوب ابيض! وانت تعلمين امي، انه الثوب الذي لم انجح في ارتدائه حتى الآن... تعالي معي تامسن لكي تجربيه، ولدي بعض الدانتيل لكي تضعي لنفسك حجاباً».

تبعتها تامسن بحزن وهي تصغي لحديث الثلاثة حول التعليمات التي ستوجه الى طباخي الستيل واتر لأعداد وليمة الزواج، ولم تلاحظ ليوني لقلق صديقتها.

«كان يجب ان يكون الثوب على مقاسك، لكنك نحفت كثيراً، بعد رحيلك عن لندن، كانت يجب ان تفتح شهيتك مع هذا الهواء الريفي المنعش».

تأملت تامسن نفسها في المرآة ولاحظت انها في هذا الثوب الابيض كأنها في كفن الاموات وليس في ثوب الزواج، وقد زاد شحوب وجهها واحست برغبة قوية في البكاء.

ابدت السيدة ادغكومب وزوجة راعي البلدة اعجابها

بهذا الثوب، لكن السيدة سكوت لاحظت انه ثوب بسيط يشبه اثواب الراهبات، اما الكاهن فوجده ثوباً متواضعاً يتناسب مع هذا الطقس الديني.

واخبرت السيدة ادغكومب السيدة سكوت بان الفتاتان التقيتا بالسيد جون صدفة، فأجابتها بانزعاج.

«اعتقد ان وجوده على علاقة بمشروع قريبه لأنه يرغب دائماً برفقته».

«لكنه لم يكشف لنا عن خطة السير ايفارارد» اجابتها تامسن ببراءة ثم اضافت.

«اعتقد انه هو ايضاً سيفاجأ بهذا القرار».

ورغماً عنها تساءلت عن هدف ظهوره في ستيل واتر الحقيقي، وهل له صلة بقرار ايفارارد، اذا كان الامر كذلك فانه من المؤكد يتلاعب بعواطفها بطريقة قاسية...

«لا اعرف اذا كان سيسمح لي غداً بزيارتك، تامس ان والدتي ستقول لي بانك ستكونين مشغولة جداً بلقاء السير ايفارارد. على كل حال سأكون في الكنيسة بعد غد كي اتمنى لك كل السعادة» قالت لها ليوني وذرفت دمعتين، وناولتها الفستان. وكانت تامسن تعلم بان صديقتها تنتظر مثل هذه المناسبة لتصبح زوجة اليوت.

«عندما ستصبحين اللايدي فورتين، يمكن لسعادتي ان تتحقق، خاصة وان ايفارارد لن يرفض طلباً لزوجته، فارجو ان لا تنسي وعدك لمساعدة اليوت...».

في طريق العودة لم تنتبه عمتها الى حزنها وقلقها، لأنها كان لديها اشياء كثيرة تشغل بالها وخاصة ترتيبات الزواج.

وكانت تعلم بانه ليس من المدهش حالة التوتر التي تصيب الفتاة قبيل زواجها من رجل لا تعرفه جيداً.

«على الاقل عندما ستتزوجان، لن يعود من الضروري ان تحاولي دائماً كسب اعجابه».

«نعم، هذا كأنه محكوم يتجه الى الجلاد الذي سيضع حداً لانتظاره الـ...».

«ان الرجل لا يحب ان يكون لسان زوجته طويلاً» قاطعتها عمتها بجفاف.

الفصل الرابع عشر

استقبلهما الخدم باشراق وبحماس. وكانوا سعداء لأن سيدهم لم يخالف رغبة ابيه السير اوليفر، وكانوا كلهم يعملون بحماس كي يحتفظ السير ايڤارارد وخطيبته بذكرى جميلة عن هذا اليوم الذي لا ينسى اسرعت تامسن الى غرفتها، ورنت الجرس كي تأتي ماري وتضع اللمسات الضرورية على الثوب الذي استعارته من ليوني، واضطرت وهي تقيسه امامها ان تتحمل امنياتها لها بالسعادة مع السير ايڤارارد.

«انا لم ار سيدنا، آنسة لوكاس، وكذلك اكثر الخدم لكن يقال بانه شاب جميل، وانا متأكدة انك ستسعدين معه».

ماذا ستقول لها؟ على كل حال لا يحق لي ان افسد

www.rewity.com مرصورية

فرحتها واهز ثقتها بالسير ايفارارد.

«اوه، بالمناسبة، آنسة لوكاس لقد وصلت رسالة لك» واخرجت الرسالة من جيبها وقالت لها بانها وصلت منذ ساعة تقريباً.

بعد ان خرجت ماري، فتحت تامسن الرسالة وقد عرفت مرسلها بدون تردد.

«تامسن، يا ملاكي يجب ان اراك لامر ضروري، اذا كانت سعادتك تهمك كما تهمني، تعالي لرؤيتي متى امكنك ذلك. سأنتظرك قرب الطاحونة حتى منتصف الليل وحتى فجر الغد اذا لزم الامر. دايفيد سانت جون».

لا، لن تذهب لا يمكنه ان يفعل شيئاً من اجل سعادتها، كل شيء اصبح جاهزاً لزواجها من ايفارارد، وحبها لدايفيد لن يجني لها سوى العار لبقية ايام عمرها.

ارادت السيدة سكوت ان تنام باكراً كي تتمكن من استقبال السير ايفارارد بنشاط صباح الغد، وطلبت من تامسن ان تنام باكراً ايضاً.

وعندما صعدت الى غرفتها، ظلت تامسن امام النافذة تتأمل القمر، هناك قرب الطاحونة ينتظرها دايفيد جون الآن...

ولكن لماذا توهم نفسها؟ هي متأكدة بانها لن تستطيع النوم قبل ان تعلم بما يريده منها، ودون ان تشعل القنديل، خلعت قميص النوم وارتدت ثوباً قطيناً، ثم نزلت السلم بهدوء. وهي متأكدة ان عمتها نامت وبان الخدم لن يجرؤ على توجيه سؤال لها. وسيعتقدون انها بحاجة للهواء

المنعش كي تريح اعصابها.

وكان نور القمر ساطعاً، وتمكنت من ايجاد طريقها، وعندما وصلت الى الجسر الخشبي، سمعت صوت عصفور، يقطع سكون الليل، لكنها لم ترتعب لشدة حماسها للقاء دايفيد جون، ولمعرفة ماذا سيقول لها. وقبل ان تصل الى الطاحونة، ازدادت دقات قلبها، وفجأة ظهر دايفيد جون امامها وهو فاتح ذراعيه وضمها اليه بحنان.

«انا سعيد جداً لمجيئك يا عزيزتي».

«فابتعدت عنه قليلاً وقالت له بحزن.

«سيصل قريبك غداً ومعه اذن من المطران وستتزوج بعد غد في الساعة الحادية عشرة صباحاً».

«وهل قبلت؟ هذا مستحيل...».

«انت تعرف باني لا اشعر باي شيء نحوه!».

«اذن، ارفضي! ولا تتزوجينه».

«هذا سهل قوله. لأنك لست في مكاني! فانا اسكن في بيته مع عمتي، واعامل وكأنني اميرة، ويعتبرينني كل الخدم انني سأكون سيدة هذا البيت. وكيف سيمكنني ان اقول له بانني غيرت رأيي بعد خمسة عشرة عاماً؟ كيف تعتقد انه سيتصرف؟ وعمتي؟ والكاهن؟».

«اسمعيني يا حبيبتي. انا لا يهمني سوى سعادتك، واعتقد انك ستكوني سعيدة معي، فلتتزوج، وانت تعلمين مدى حبي لك، وقد اعترفت لي بانك لا تهتمين بالثراء الفاحش» ثم تأملها قليلاً واضاف بقلق.

«انت لا تزالين تحبينني اليس كذلك، تامسن؟».

«اوه، نعم انا احبك ولكن هل انت متأكد من انك تريدني؟ ام انني مجرد واحدة من الكثيرات التي وقعن في غرامك؟ وهل اعتبر بالنسبة اليك اكثر من ليوني ادغكومب؟ فانت لا يمكنك ان تنفي انك ضممتها بين ذراعيك».

«لا، انت محقة لقد قبلتها، ولكن لم يكن ذلك سوى مغامرة بسيطة، لا اهمية لها، انه سر بين وبينها، ولا اتمنى ان تخوني صداقتها، كما وانني لم اكن اعرفك في ذلك الوقت، فلا يوجد داعياً لغيرتك، واعدك بانني من الآن وصاعداً لن انظر الى امرأة اخرى غيرك انت».

رغماً عنها، احست تامسن بان قلبها سيقفز من صدرها. لكنها ليست متأكدة من الآن صدقه.

«لقد اصبح عمري ثلاثين عاماً. تامسن وانا لن اكذب واقول لك بانني احبك وساحبك كما لم احب اي امرأة اخرى».

«لا اجد امامي شيئاً آخر سوى تصديقك واتباع ما يمليه علي قلبي. ولكن اعلم بانك اذا كنت تخدعني ساكون اتعس انسانة على وجه الارض، لأنني احبك بشكل لم اكن اتصور انني قادرة عليه».

«وهل تقبلين الزواج مني، رغم انني لست نبيلاً، ولست غنياً؟».

«لا يمكن ان يوجد اي صلة بين السعادة والثراء».

«ولكن هل فكرت جيداً بكل ما ستتخلين عنه؟ المجوهرات، الفساتين... هل انت مستعدة بكل شيء من اجل حبك لي؟».

«نعم» اجابته بهمس وقدمت اليه شفتيها بشوق كبير.

فضمها دايفيد جون الى صدره وقبلها بحب وشوق كبيرين. واحسا بان كل شيء يدور حولهما، وانهما لا يرغبان الا في ان يكونا جسداً واحداً.

«هذا ليس كل شيء. يجب ان نسرع، وسيكون لدينا الوقت الكافي لتبادل القبلات فيما بعد».

«ولكننا في منتصف الليل...».

«وهذه الساعة المثالية كي اخطفك».

«ولكني لم استعد لذلك... وليس لدي غير هذا الثوب».

«اذن؟».

وفكرت بصديقتها ليوني التي كانت تحلم في ان يخطفها اليوت. ولكنها لن تقبل بذلك الا اذا كانت بكامل اناقتها. وابتسمت لهذه الفكرة.

«ما الذي يضحكك الآن؟».

فاخبرته وضحكت.

«انها فتاة رومنطيقية، وانا اشفق على الرجل الذي ستتزوجه!».

«انا آسفة لأجلها، فلن استطيع ان اعرف اليوت جايمس على السير ايفارارد ابداً».

«ستكلميني عن كل هذا ونحن في الطريق» همس دايفيد جون وهو يمسك يدها واضاف.

«يجب ان نرحل الآن».

وروت له تامسن آمال ليوني واليوت جايمس، توجد

دايفيد انها قصة مضحكة.

«لا اعرف لماذا تضحك يا عزيزي. ولكني متأكدة من انه شاب موهوب ويستحق المساعدة. ويستحق ايضاً ان تتعرف عليه».

«سأشرح لك يوماً سبب ضحكي. اما الآن فسنسير بهذا الاتجاه، حيث تنتظرنا عربتي».

«ولكن الى اين سنذهب؟».

«الى مكان انا متأكد من اننا سيمكننا الزواج فيه بهدوء».

«عندما ستلاحظ عمتي غيابي، ستقع مريضة حتماً، وقد تعتقد انني تعرضت لحادث...».

«لا تخشي شيئاً، سأكتب لها وللكاهن ولكل من يحق له ان يتساءل بأن الآنسة لوكاس غيرت رأيها بشأن زواجها من ايقارارد».

«ولكن قد يفكر ايقارارد بالبحث عنا».

«ثقي بي تماماً، ستسير الامور بشكل رائع».

وكان الحصان ينتظرهما بسلام وهو يرعى العشب الندي على حافة الطريق. وعندما سمع صوت سيده حرك اذنيه فرحاً. فامسك دايفيد تامسن وساعدها على الصعود الى العربة الصغيرة، فقالت له.

«عندما سيفيق ايقارارد من ذهوله، لن يحاول الانتقام منك، لأنه سيعتبر انك ادبت له خدمة كبيرة وسيكون ممتناً لك».

«هذا ممكن... وسنرى ذلك فيما بعد» اجابها مبتسماً.

وسارت العربة في طريق ضيقة، وبدأ الغبار يتطاير وامتزجت رائحته برائحة الاعشاب التي يحملها نسيم الليل.

ومع اهتزاز وارتجاج العربة، نامت تامسن ولم تستيقظ الا عندما توقف الحصان، فوجدت انهما امام بيت غارق في الظلام، ويلمع نور خفيف من نافذة الطابق السفلي.

«لمن هذا المنزل؟» سألته وهي لا تزال بحالة النعاس.

«انه لوالدي، ولقد عاشا فيه اول سنين زواجهما».

وعندما دخلا، لاحظت انه منزل قديم، واثاثه قديم ايضاً لكنه كامل لا ينقصه شيء.

«ايوجد فيه خدم؟».

البستاني وزوجته فقط».

وكان في الصالون المضاء بنور القنديل، طاولة مغطاة بشرشف ابيض وعليها بعض الطعام البارد.

جلست تامسن على احد المقاعد، بينما جلس دايفيد جون على ركبتيه امام المدفأة واشعل النار فيها.

هنا، اشعر بانني بأمان، فكرت تامسن وهي تتأمل المكان، ولن يتمكن ايقارارد في العثور علي واعادتي الى ستيل واتر.

وعندما اشتعلت النار في الموقد، نهض دايفيد جون واقترب من الطاولة.

«الا تريدين ان تأكللي شيئاً قبل ان تنامي؟».

«لا، شكراً اشعر بالتعب ولن يمكنني ان ابتلع اية لقمة الآن».

«اذن، ما رأيك بكأس من البوردو؟».

«لا بأس، اذا سمحت».

فملأ كأسين من الكريستال، وشربا نخب سعادتهما معاً، ونخب حياتهما الجديدة التي بدأها، ثم قال لها دايفيد جون بحنان.

«هيا يا حبيبتي، انت بحاجة للنوم، وانا سأسهر قليلاً. يجب ان اكتب بعض الرسائل قبل بزوغ الفجر».

ومد يده نحوها وساعدها بالنهوض. ورافقها الى اعلى السلم ثم ادخلها الى غرفة مفروشة بشكل رائع. يبدو انها غرفة فتاة او سيدة شابة.

فنظرت اليه بدهشة، لكنه اكتفى بالابتسام وكأنه فهم ما يجول بخاطرها.

«هذا مفتاح الباب، ويمكنك ان تقفليه وتنامي بأمان. واتمنى بعد اعلان زواجنا ان تسمحي لي بالانضمام اليك وباقفال الباب خلفنا».

فاخفضت نظرها واحمر وجهها، فضمها دايفيد الى صدره بحنان وقبلها.

«نامي الآن يا حبيبتي. وحاولي ان لا تقلقي بشأن الغد ما سيحمله الينا».

لم تكن تامسن تعتقد ان بامكانها ان تنام هذه الليلة وفي هذا المنزل. لكن التعب تغلب على قلقها. وتمكنت من النوم، ولم تستيقظ الا عندما سمعت تغاريد العصافير. وعندما دخل شعاع الشمس الى الغرفة من خلال الستائر التي على النافذة.

وعندما فتحت عينيها تساءلت للحظات اين هي، وبسرعة تذكرت احداث الليلة الاخيرة. وبنفس الوقت سمعت طرقات خفيفة على باب الغرفة.

ثم دخلت سيدة كبيرة تحمل بيدها صينية.

«لقد امرنا سيدنا بأن نحضر لك وجبة فطور كاملة، ايتها الآنسة» قالت لها السيدة وهي تنظر اليها بفضول واضافت.

«وسأحضر لك بعد قليل الماء الساخن كي تغتسلي، كما وانني سأساعدك في ارتداء ملابسك وفي تزيين وجهك وترتيب شعرك.

تناولت تامسن فطورها بشهية وشربت القهوة. ولم يسبق لها ان اكلت بمثل هذه الشهية منذ مدة طويلة. وبينما هي تأكل طبقاً من الفريز المقطوف طازجاً والمغطى بطبقة من الكريما. سمعت دقات اخرى على الباب، ثم دخل دايفيد جون ونظر اليها بحب وحنان وابتسم.

« انني ان تكوني نمت جيداً، يا حبيبتي مع انن الاحظ بان شهيتك للطعام افضل بكثير من مساء امس، اما انا، فلم انم ابداً، ولقد تمكنت من ارسال كل الرسائل، وساكون سعيداً اذا كنت جاهزة في الساعة الحادية عشرة. وستساعدك مربيتي المسنة في ارتداء ملابسك».

«هل هي نفسها التي تهتم بهذا المنزل؟».

«نعم، كما وانها لم تبخل باعطاء رأيها بك».

«وماذا كان رأيها؟».

«جيدة جداً، واضافت ان الآنسة لوكاس ستعجبها اكثر عندما تبدل ثيابها وترتب نفسها!».

«ولكن، ليس لدي غير ذلك الثوب الذي كنت ارتديه مساء امس! ماذا سأفعل؟ وانا لا استطيع ان ارتديه ايضاً هذا الصباح...».

«لا تقلقي ابداً. لدي هنا ما يناسبك تماماً. ومن الطبيعي انها ليست على الموضة الحديثة، لكنها جميلة جداً، وسيسعدني جداً ان ترتديها».

ان وجود هذه الملابس عنده تركها بحيرة تامة، فلم تفكر في سؤاله لماذا كل هذه الاناقة ولماذا يجب ان تكون جاهزة في الحادية عشرة تماماً. وعندما احضرت لها المربية الماء الساخن، فتحت احد الادراج واخرجت منه ملابس داخلية نسائية رائعة. وكلسات من الحرير وحذاء نسائي من الجلد الطبيعي. وكانت كل هذه الملابس على قياس جسمها.

دهشت تامسن كثيراً عندما رأت ان دايفيد جون يملك هذه الملابس النسائية الكاملة. لكنها لاحظت ان كل هذه الملابس تعود لزمن طويل مع انها في حالة ممتازة وكلها رائعة. وكذلك كان القميص النوم الذي وجدته ليلة امس مطوياً بعناية على السرير.

ساعدتها المربية المسنة بكل خفة ورشاقة على تحضير نفسها. ثم فتحت الخزانة واخرجت منها ثوباً طويلاً رائعاً من الحرير الابيض، ومع ان موديله قديماً، الا ان الدانتيل الذي كان يزين صدره، واكمامه الواسعة تدل على مهارة الخياط الذي صممه.

«انه اجمل ثوب رأيته في حياتي!» قالت تامسن بدهشة

وهي تلامس الثوب الرائع. لم تجبها المربية، ولكنها ساعدتها في ارتدائه ويديها ترتجفان.

وكأن الثوب كأنه صنع خصيصاً لها. من المؤكد ان السيدة صاحبة هذا الثوب كان لها نفس نحافة ورشاقة تامسن.

تأملتها المربية بحنان، ثم سالت دمعة من عينيها.

«انه ينتظرك في الاسفل، آنسة لوكاس» قالت لها بصوت مرتجف هامس.

وعندما نزلت تامسن الى الصالون رأته ينتظرها ويرتدي بدلة انيقة، فاستقبلها بابتسامة عريضة، وفي اول لحظة لم تعرفه تامسن. وكان بدون شاربين ويبدو الآن اصغر مما هو عليه واكثر جمالاً، واكثر جاذبية ايضاً.

«شعرت فجأة برغبة لأن احلق شاربي، اتمنى ان لا يزعجك ذلك؟» قال لها بمرح.

«اوه، لا... ابداً لقد تفاجأت فقط» طمأنته وقد احمر وجهها بسرعة.

«انك جميلة جداً. وثوب والدتي يناسبك تماماً».

«لماذا اردت ان ارتديه الآن؟».

«ستفهمين، بعد قليل لا تقلقي ابداً اما الآن فهناك شيء آخر، اريد ان اريك اياه!».

ثم اقترب من الطاولة، وتناول الصورة التي التقطها لها قرب الطاحونة.

«لم اكن اعتقد ابداً انها ستكون بهذا الجمال، ان آلة التصوير خاصتك تبدو لي افضل بكثير من مرآتي!» قالت له

بدهشة وسعادة.

«ستبقى هذه الصورة ذكرى حية لي، عن ذلك اليوم الذي ارادت فيه الآنسة لوكاس ان تعترف بحبها لي».

«هذا شيء رومنطيقي» اجابته بلطف.

«نعم، ولكن اذا حصل وانك لم تعودي تحبنني؟ ان الطيش وعدم الثبات هما من صفات النساء...».

«انك تقلقني، لماذا تظن بانني سأغير رأيي؟».

«اتمنى ان اصدقك، ولكن الآن، دعيني اريك شيئاً آخر. بالتأكيد انها باهتة قليلاً ولكنها كمحاولة اولى مشجعة جداً».

فنظرت تامسن بدهشة للصورة، وعرفت القبعة والمعطف الذين كانت تضعهما في نزهاتها في كوننغ سكوير.

«ولكن، كيف امكنك ذلك؟ فانا لا اذكر انني رأيت آلة تصوير...».

«الم اخبرك مرة انني اقوم بابحاث خاصة لصنع آلة تصوير صغيرة؟ حسناً، هذه نتيجة اول جهودي».

«ولكن، اين كنت تخبأها؟».

«في الكرة التي كانت معلقة في طرف العصا. التي كنت احملها، هذا حدث مهم، اليس كذلك؟».

ثم نظر الى الساعة المعلقة فوق المدفأة، وقال بلهجة آمره.

«حسناً، لقد حان الوقت، هيا بنا كي لا نتأخر اكثر».

«ولكن الى اين سنذهب؟» سألته بفضول وهي تتبعه الى خارج البيت.

لكنه تجاهل سؤالها كأنه لم يسمعها، وساعدها على الصعود الى المركبة الفاخرة التي ركباها في الليلة الماضية.

وخرجا من حديقة المنزل وسلكا طريقاً وعرة عبر الغابة القريبة.

هذا شيء غريب حقاً، حدثت تامسن نفسها وهي تتأمل دايفيد وهو يمسك زمام العربة. كل هذا المنزل الريفي الجميل، وهذه الحدائق، لا تتناسب مع فقره الذي يدعيه...

«الا نزال ضمن مقاطعة كلوسستر؟».

«نعم...».

وبعد عشرة دقائق وخلف احدى التلال، ظهرت امامها كنيسة رومانية صغيرة.

«لقد وصلنا» قال لها مبتسماً.

«هل نحن ذاهبان الى هذه الكنيسة؟ ولكن ماذا ستفعل هناك...؟».

«الم تحزري بعد؟».

فتلألأت عيونها بدموع الفرح.

«اتريد ان تقول باننا سنتزوج هذا اليوم؟».

«اذا اردت ذلك، تامسن».

«اوه، انا سعيدة جداً! ولكن كيف استطعت ان... فان الاعلان عن الزواج لم...».

وبكل حنان ومحبة، ساعدها على النزول من العربة، واكفى بالاجابة بصوت غريب.

«تعالي، كل شيء سيتوضح خلال دقائق قليلة...» ثم امسك ذراعها ودخلا معاً الى الكنيسة. كانت الكنيسة مظلمة بالنسبة لضوء الشمس في الخارج، فلم تر تامسن شيئاً في البداية، ثم شيئاً فشيئاً، لاحظت باقات الزهور المتنوعة، ثم لاحظت وبتوتر شديد مجموعة من الناس ينظرون اليهما بفضول. فتوقفت تامسن كالمشلولة هذا مستحيل! انه خدعها... لكن عيونها لا تخدعها. هذه السيدة سكوت عمتها. والسيدة ادغكومب وابنتها، وخلفها استاذ الرسم اليوت جايمس. والكاهن سبتيموس وزوجته. ورجلان انيقان لم ترهما من قبل. اوه، لا هذا مستحيل... انه كابوس حقيقي! ونظرت الى دايفيد وقد شحب لونها، وبدأت ترتجف، فابتسم لها وقال بصوت عال كي يسمعه الجميع.

«ايها السيدات والسادة، ان ما اريد قوله للآنسة لوكاس يجب ان يسمعه الجميع. كي لا يحصل اي سوء فهم في المستقبل.

انها قصة طويلة ويجب ان ابدأ من اولها، في حين كان السير ايڤارارد فورتين لا ينوي الزواج ابداً من الآنسة توماسينا كات لوكاس. اخذ يبحث عن وسائل قانونية شرعية ليفسخ البند الذي اشترطه عليه والده في وصيته. وهو رجل ذكي، وكان سيتمكن من النجاح، وسيقنع السيد غرافني والسيد هامبدن الموجدان هنا والمسؤولان عن تنفيذ الوصية، لو لم تشأ الاقدار وتعرفه على هذه الآنسة.

كان يذكر انها فتاة مشاكسة، وحسب ما وصله عنها،

انها اصبحت آنسة تافهة ومملة.

ورغم ذلك، قرر ان يتحقق بنفسه اذا كانت كغيرها من الفتيات اللواتي يطمعن بزواج غير مبني على الحب، فقط من اجل الحصول على الغنى والشرف. ولكن كيف سيمكنه ذلك دون ان يكشف لها عن هويته الحقيقية؟.

وهكذا، وبعد ان ربى شاربيه قدم نفسه اليها تحت اسم دايفيد جون كقريب لايڤارارد، لكنه فقير ويهوى التصوير.

وهذه الخديعة وهذا العذر نجحا تماماً، يا عزيزتي تامسن، على امل ان ازيل من رأسك كل الشكوك واكبر في نظرك».

«اتريد ان تقول...؟».

ولشدة دهشتها، كانت تامسن تسمعه وعيونها تلمع بحدة وكأن تلك الفتاة المشاكسة الصغيرة عادت الى الظهور، ونسيت كل المبادىء التي علمتها اياها عمتها السيدة سكوت بصعوبة.

«نعم، انا السير ايڤارارد فورتين، يا عزيزتي، واتمنى ان اعجبك كما اعجبك الرجل الفقير الذي اردت ان تضحي بكل شيء وبدون تردد من اجل حبه، في لندن، لاحظت ان الشاربين لم يخفيا تنكري، وتذكرين كيف هربنا في المعرض، اليس كذلك؟ لأنني كنت اعرف اولئك الشبان الذين رأيتهم والذين عرفوني فوراً وبكل سهولة. ولهذا السبب طلبت منك ان تأتي الى ستيل واتر، حيث منعت نفسي من زيارتك كي لا يتعرف علي احد من الخدم.

وعندما وصلت الى هنا متخفياً، ادركت بانني ذهبت

بعيداً، فالقريب الذي تحبينه والرجل الذي تكرهينه ليسا في الحقيقة سوى شخص واحد. وكنت اخاف ان اعترف لك بهذا السر خشية ان يتغلب كرهك لايڤارارد على حبك لدايفيد سانت جون.

وكي ننهي هذه القصة، ونسرع الاحداث، اقنعتك بعملية الخطف، كان يجب ان اتابع لعب هذا الدور، وحدد السير ايڤارارد موعد الزواج. وكنت اشك بانك ستقبلين الهرب معي هذه الليلة.

وبينما كنت نائمة مساء امس. زرت الكاهن الذي قبل تقديم اجراء الزواج يوماً واحداً. ثم اسرعت الى عمتك في ستيل واتر، والتي بطيبتها سامحتني، خاصة عندما اخبرتها بانك بأمان وبصحة جيدة.

وعندما كنت في فارفورد، نويت ان ادعو السيدة ادغكومب وابنتها، وكنت قد ارسلت قبل ايام رسالة الى السيد غرافني والسيد هامبدن كي يحضرا بانفسهما هذا الزواج وكي يتأكدا من تنفيذ وصية والدي حرفياً.

وبما ان السيد اليوت يعرف كلينا، وبما انه صادق انه كان موجوداً في هذه المنطقة، فلقد رجوته ان يحضر ويشرفنا بأن يكون شاهد زواجنا.

ولقد فهمت الآن، لماذا تجنبت رؤيته عندما كنت معه في لندن، وبما انني معجب جداً بفنه، فانه سيرسم لك صورة مميزة».

وفي هذه اللحظات نظرت تامسن الى صديقتها ليوني التي ابتسمت ابتسامة النصر وهي تنظر الى اليوت جايمس،

وكانت السيدة ادغكومب تنظر الى استاذ الرسم الذي عرف كيف يحصل على اعجاب وتقدير رجل مثل السير ايڤارارد.

«ولكن يبقى هنا مشكلة اخرى. انا لا يمكنني ان اتزوجك بالخداع. فانا اعرف بان ما سمعته عني من قبل كان يمنحك الحق في رفض يد السير ايڤارارد لأنه كذب عليك كثيراً.

ولكن اعلمي بانني سأكون اتعس رجل في العالم، ولن تواسيني اية ثروة اذا رفضت الزواج مني...».

وساد صمت قصير، حتى الكاهن نفسه لم يجرؤ على قطعه، لأنه وجد نفسه امام موقف لم ير مثله في حياته.

ثم فتح باب الكنيسة باجلال، ورأت تامسن المربية التي ساعدتها في ارتداء ملابسها تدخل، وبسرعة امتلأت مقاعد الكنيسة عندما دخل كل خدم الستيل واتر. وبعض العاملين في مزارع السير ايڤارارد.

«هل تقبلين الزواج بي، تامسن؟».

وتركزت كل العيون على الفتاة وكأنها تتوسل اليها ان تجيبه بكلمة نعم، ولكنها انتظرت لحظات... فحتى الآن لا يزال من حقها ان تقول كلمة لا لقد تسلى كثيراً بعواطفها، وبكلمة واحدة بامكانها ان تنتقم منه... ولكن...

لا، هذا مستحيل! ان الحياة لا تساوي شيئاً بدون دايفيد جون، حتى ولو كان اسمه الحقيقي ايڤارارد فورتين.

«اقبل الزواج منك، ايڤارارد ولكن بشرط واحد».

فنظرت اليها السيدة سكوت بدهشة، وهي لم تكن تتخيل ان ابنة اخيها تملك مثل هذا الحزم.

«لك كل ما تريدينه يا حبيبتي».

«لقد اجبرتني على مغادرة لندن قبل ان اتمكن من رؤية الاستعراض والمعرض كله، ولذلك اطلب منك ان نمضي شهر العسل ونزوره معاً. وبعد كل شيء لقد اشتريت بطاقة الحضور، ولا اريد ان ابدد فلوسي التي ادخرتها بسبب غلطتك انت...».

«انبسطت كل الوجوه، وتعالت بعض الضحكات بين الخدم والمزارعين، واخيراً وجد سيد الستيل واتر آنسة لن تدعه يتركها بسهولة!.

«اوه، تامسن، يا حبيبتي، اذا اردت سنزوره يومياً الى ان ينتهي في آخر شهر تشرين الاول».

ودون ان يهتم لنظرات السيدة سكوت ولزوجة الكاهن، انحنى نحو تامسن وتبادلا قبلة حارة جداً. فسعل الكاهن قليلاً وقال مبتسماً.

«سير ايڤارارد، آنسة لوكاس، بما انكما موافقان، بامكان ان ابدأ...».